مركز النشر العلمي والترجمة
جامعة القصيم
Center of Scientific Publishing and Translation
Qassim University

مجلة العلوم العربية والإنسانية
Journal of Arabic Sciences & Humanities
مجلة دورية علمية محكمة ربع سنوية

E-ISSN: 1658-9602
www.jahs.qu.edu.sa

قراءة حجاجية لرثائيات جاهلية

فهد بن مناحي بن عبد الهادي السيحاني

قسم اللغة العربية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة شقراء، شقراء، المملكة العربية السعودية

17، (4)، شوال، 1445
April, 2024

الملخص

يهدف البحث إلى تطبيق منهج الحجاج عند برلمان وتيتيكا في كتابهما (مصنف في الحجاج) على الشعر الرثائي، وبيان دور الأسلوب في الحجاج، من خلال عينة رثائية مختارة. وتبين إمكانية تطبيقه على الشعر الرثائي؛ لأنه ينطوي على رسالة يرمي المحاج إلى توصيلها، وحجج متعددة مقنعة، وأساليب جمالية ترسخ تلك الحجج وجدانيًا وعقليًا. وتبين أن للأسلوب دورًا في نفاذ الحجج وإحداث تأثير وجداني، وأن الحجج في الرثائيات تكاد تكون مشتركة، وقد تأسست الرثائيات على (مفهوم الفقدان) و(مغالطة التجهيل) لبيان قيمة المرثي وفداحة المصاب، مع صبغ الخطابات بعاطفة الحزن والتحسر والتفجع، ممزوجة بالتلهف والاستعظام. وخلص البحث إلى أن المرثيات نجحت في عرض حججها وإقناع القارئ بحيازة المرثيين على قدر عالٍ من السيادة والمجد والشرف.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، برلمان، الرثاء، الجاهلي، الشعر

Abstract

This study entitled "An argumentative reading of selected pre-islamic Elegies", seeks to apply Perelman and Tyteca's argumentative approach to selected Pre–Islamic elegies in order to uncover the power of style in argumentation since style is essential in framing the arguments and foregrounding their emotional effect. The study aims to show how applicable the approach is to elegies that incorporate a message and multiple persuasive and/or convincing arguments the poet–persuader intends to deliver in aesthetic styles consolidating the arguments emotionally and rationally. Based on the concept of loss and the fallacy of ignorance, elegies share almost the same arguments so that the poetic persona may lament the cherished dead and express deep sorrows over the enormous affliction through a discourse of sadness, regret, yearning, and veneration. The study concluded that elegies proved feasible in constructing persuasive and/or convincing arguments lamenting the dead's sovereignty, and honor.

Keywords: Argumentation, Perelman, Elegy, Pre–Islamic era, poetry

الإحالةCitationAPA**:**

السيحاني، فهد. (2024). قراءة حجاجية لرثائيات جاهلية. *مجلة العلوم العربية والإنسانية*، *17*، (4)، 66-99.

اسـتُلم في: 18-04-1445/ قُبل في 09-08-1445/نُشر في15-10-1445

Received on:02-11-2023/**Accepted on:**19-02-2024/**Published on:**24-04-2024

1. المقدمة

يُعرّف الحجاج بأنه "حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي" (شارودو،2021/ 2009، ص. 20)، وعرّف برلمان وتيتيكا الحجاج بأنه: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"، وبيّنا غايته: "أن يجعل العقول تذعن بما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان"(صولة، 2007، ص. 27). وأما الرثاء ففن يقوم على تأبين الميت وندبه والبكاء عليه (ينظر ضيف، د. ت)، "وليس بين الرثاء والمديح فرق، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميّت، مثل (كان)" (ابن رشيق، ت. 456هـ، ط.1988، 2/ 805)، و"إلا ما يفترق بذلك من ذكر التوجع وأنواعه" (الآمدي، ت. 370هـ، ط.1990، 3/ 469). ويصطبغ الرثاء في الشعر القديم بعاطفة الحزن والتحسُّر والتفجُّع، ممزوجة بالتلهف والأسف والاستعظام (ينظر ابن رشيق، 1988). والشعراء المحاجون جاهليون، شهروا بمراثيهم هذه في إخوانهم[1] التي حازت إعجاب النقاد القدماء (ينظر ابن جعفر، ت.337هـ، ط.1978؛ العسكري، ت.395هـ، ط.2008)، وهم: أعشى باهلة[2]، وكعب الغنوي[3]، وسعدى الجهنية[4]. ولا غرابة؛ فقد قيل إن موت الأخ فاجعة لا يعدلها موت أحد من الأقربين: "قال ما فعل أخي؟ قال : مات: قال: أوّه انقطع ظهري". (العسكري، ط.2008، 1137/2).

يصب هذا البحث في ما يعرف بـ (البلاغة الجديدة) أو الحجاج وتقنياته عند برلمان (1984/ 1912) وتيتيكا (1987/ 1899) في كتابهما (مصنف في الحجاج)، وهي "ذلك الحقل الذي يهتم ببنية الإقناع وجريانه في الخطابات التواصلية العمومية أو في غيرها من الخطابات اللفظية" (مشبال، 2018، ص. 23). وتطمح إلى مقاربة أنواع الخطاب كلها التي تتضمن إقناعًا واستهواء (ينظر الدهري، 2011). ومن هذا المنطلق سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي أساسًا للمقاربة الحجاجية لعينة مختارة من خطابات جاهلية في رثاء الأخ استحسنها المتلقون طوال قرون عدة، مفترضًا أن طاقة الحجاج تختلف من خطاب إلى آخر. ولأن "الحجاج يتحدد في علاقة ثلاثية بين فاعل محاجج وخبر عن العالم وفاعل هدف" (شارودو، 2021، ص. 17)، فإننا سنعد الشاعر هنا فاعلًا محاججًا يتوجه بخطابه الشعري الرثائي الذي هو خبر عن العالم إلى جمهور فاعل يتلقاه فإما أن يتقبله ويستجيب له، وإما أن يرده ويدينه. وهذا الجمهور يكون حقيقيًا مدركًا، أو مفترضًا يفهم إنتاج المبدع ويتفاعل معه، ويمارس سلطته المخفيّة عليه، ويستحضره المحاج بوعي أو بدونه، وهو ما يسمى (القارئ الضمني) (ينظر آيزر، 2002).

يهدف البحث إلى تطبيق منهج الحجاج على الشعر، وإجرائيًا على الرثائي منه؛ للنظر في وجاهة الآراء التي تضاربت حول الحجاج والشعر، إذ قد استبعد التصوّر البلاغي التقليدي قيام الشعر على الجدل والحجاج، متذرعًا بأنه فن تخييلي تأثيري، وأن الحجاج جوهر الخطابة التي تقوم على الإقناع (الدريدي، 2011). وكذلك نظر باحثون محدثون

إلى أن الشعر والحجاج متعارضان أصلًا (العزاوي، 1992). في حين ذهب باحثون آخرون إلى أن التحليل الحجاجي ينبغي ألا يحصر في الخطابات الفلسفية والدينية والسياسية وغيرها التي تقوم على الجدال وتهدف إلى الإقناع، بل يجب أن يشمل النصوص الأدبية (الرقبي، 2011). كما يهدف إلى سبر أثر الأسلوب واللغة في الحجاج؛ على أساس أن النص الأدبي نص لغوي، وحجاج اللغة يكمن في قدرتها على التأثير ببناها الإفرادية والتركيبية والإيقاعية (عيد، 2013). إضافة إلى محاولة التلمّس لأدوات حجاجية مشتركة بين المحاجين، وللمدى الذي وصلوا إليه في توظيفها. ولتحقيق تلك الأهداف، سعى البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل يصح تطبيق منهج الحجاج على الشعر عمومًا، ومنه الرثائي؟
- أللعناصر الأسلوبية دور في الحجاج؟
- هل هناك آليات حجاجية مشتركة في فن الرثاء الجاهلي؟
- إلى أي مدى بلغ توظيف المحاجين لتلك الآليات والعناصر الحجاجية؟

وتنبع أهمية البحث من كونه- حسب اطلاعي- سابقًا إلى تطبيق منهج الحجاج على الرثاء، مع إجراء المقارنة بين المحاجين، على حين طبقت دراسات أخرى منهج الحجاج على الشعر بصفة عامة، أو على قصيدة بعينها، أو شاعر بذاته. أيضًا من محاولة البحث الإجابة على تساؤلاته التي قد تفتح آفاقًا جديدة في دراسة الشعر حجاجيًا، أو تدفع إلى مزيد من الدراسات في هذا الإطار. ويأتي اختيار البحث للرثاء لمقامه التأبيني التفجُّعي المكتنف بعاطفة الأسى والألم والحرقة، مما يعين على إجراء تحليل حجاجي، فقد قيل إنه "كلما كان الشاعر صادقًا في معاناته، ساعيًا إلى تبليغ خطاب ما، راميًا إلى التخاطب والتواصل مع الآخرين، له غاية واضحة وهدف محدد (...) كان أكثر حجاجية" (العزاوي، 1992، ص. 100- 101)، ولعل هذا التوصيف ينطبق على المحاج الراثي أكثر من غيره. إضافة إلى ما في هذا الاختيار من تركيز على غرض واحد وتعمّق في تحليله؛ أملًا في الكشف عن إجابات مقنعة لأسئلة البحث.

لا توجد دراسة – حسب علمي- خصت فن الرثاء الجاهلي بدراسة مستقلة وفق المنهج الحجاجي، وسأشير إلى دراسات طبقت الحجاج على الشعر والنثر الفني، مكتفيًا بذكر هدفها الرئيس، دون تفصيل ونقد. ومن أهمها دراسة الدريدي (2011)، التي حاولت التأطير لنظرية الحجاج عمومًا، ثم تعرضت لمسألة العلاقة بين الشعر والحجاج، وسعت إلى رصد الطرائق الحجاجية في الشعر القديم. وقد أفدت من ذلك كله، ومن الجانب التطبيقي في دراستها، خصوصًا الباب الأول الذي درست فيه أساليب لغوية وبلاغية ترفد الإقناع، إضافة إلى محاولة البحث استصحاب المفاهيم الأساسية أو المقاصد الجوهرية للمراثي القديمة التي أشارت إليها، والتي ستَذكر هنا لينظر في نهاية المطاف إلى مدى انطباقها على الخطابات المختارة، منها (مفهوم الفقدان) ويعني جنوح المحاجين لجعل البكاء على الفقيد بكاء لكل من افتقده، فتتحول المصيبة الفردية إلى عامة، ومنها المقصد الضمني للمحاجين وهو أنهم حاولوا إيهام الجمهور بأن القيم تقبر مع المرثي

وتموت بموته، ومفهوم (مغالطة التجهيل) ويقوم على إفحام المخاطب وتعجيزه على أن يرد حجج المحاج أو يفندها ويدحضها. وهناك دراسة يوسف (2014)، وانصبت على شعر النقائض، وحاولت أن تقدم رؤية معرفية لإعادة فهم الخطاب السجالي في الشعر العربي الذي يتسم بطرائق خاصة في الصياغة والتعبير، وأفدت خصوصًا من الفصل الثاني (شعرية الخطاب السجالي)، والرابع (تحولات الصورة في الخطاب السجالي)، والخامس (التكرار واستراتيجيات التواصل الخطابي). وأخيرًا دراسة المطيري (2022)، التي تحدثت عن المقدمات الحجاجية، وأنواع الحجج، وأفدت من إضاءتها لبعض تلك المقدمات والأنواع.

أما الدراسة فتشتمل على مبحثين، الأول: بنية الحجاج اللغوية، والآخر: بنية الحجاج الموضوعية، كما هي لدى برلمان وتيتيكا، ثم خاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، مع ملحق بالمرثيات.

2. بنية الحجاج اللغوية

عُني برلمان ببلاغة الحجاج التي تعني "بثنائية بلاغة الحجة وبلاغة أسلوبها معًا كشرطين متلازمين لتحقيق الخطاب ونفاذه" (الطلبة، 2008، ص. 106)، واهتم بأساليب إجراء اللغة وتنويعات الخطاب ومقاماته، (ينظر الأمين، 2000)، كما أشار برلمان إلى أن العناصر الأسلوبية للخطاب لا يمكن فصلها عن أهدافها الحجاجية، وكلها موجهات تعبيرية ذات دور حجاجي كبير (ينظر الطلبة، 2008)، بل إن فعالية الحجاج لا تظهر إلا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية (ينظر الرقبي، 2011). وبما أنه لا يركز في الحجاج إلا على ما يدخل في بنيته الموصلة إلى الإقناع (ينظر الأمين، 2000)؛ فإن البحث سيقصر الحديث على اختيارات معجمية وتركيبية يَعمد إليها المحاج لغاية حجاجية، أو على ما يمكن عده "نشاطًا لفظيًا يروم التأثير العملي في الآخر" (مشبال، 2018، ص. 19)، دون الخوض في تحليلات معمقة.

2. 1 المعجم

يتسم المعجم بسمات تسهم في تبليغ مقصد المحاج إلى المتلقي، وتزيد من تماهيه مع الخطاب، أهمها:

الوضوح في مدلولات الألفاظ ووضعها في مكانها اللائق دون غموض أو اضطراب، وتلك سمة في الألفاظ الجاهلية عمومًا (ينظر ضيف، د.ت). والوضوح في الأسلوب عمومًا يسهم في الإقناع الذي هو مجال الحجاج، ويدفع المتلقي إلى وظيفة حجاجية مهمة وهي الفعل (ينظر الأمين، 2000)، ولا يتنافى مع الوضوح ما نجده في المرثيات من ألفاظ ذات غرابة نسبية، خصوصًا في أوصاف الناقة التي ينحرها مرثي الأعشى أو يحلبها لضيوفه، كما سيأتي؛ فهي أوصاف تتكرر في الشعر الجاهلي في سياق الوصف، لذا فإنها في نطاق المعجمية المفهومة لدى جمهور المتلقين آنذاك.

الحقل الدلالي، إذ تدور مفردات في حقل الحزن والبكاء لدى المحاجين: النعي والندب والمصيبة والفجيعة والجزع، وأخرى في حقل الزمان وصروفه: الموت والمنون والدهر والحدثان والخطوب، وغيرها مما يمثل أقطابًا دلالية لشعر الرثاء الجاهلي (ينظر الشورى، 1983). كذلك تشيع صفات وأحوال تتعلق بقيمة المرثي، فعند الأعشى: طاوي- منصلت- مهفهف-

منخرق- محتقر- أهضم- ورّاد- مكساب. وعند كعب: ماجدًا- الراجي- الباقي- الماذي- غاديًا- الغانم- حليم- حليف- حبيب- جميل- كثير- رقيب- أديب- أريب - عروف- جموع- جيّاء- ذهوب- غضوب. وعند سعدى: مطعم- متحلب- بارع- أنف- سمح- أروع- أميث - نسّال- سبّاق- كشّاف- جوّاب. وقد تأتي في سياق آخر، وصف المحاج نفسه، كما فعل الأعشى: مرتفقًا- مكتئبًا، وكعب: شاحبًا – صادق- حرّان، ويزيد كعب بأن استثمر تلك الصيغ في نفي صفات مرذولة، كما سيتضح في تركيب النفي لاحقاً، أو في إثبات صفات للمنتفعين بالمرثي: طاوي- نائي. ويلحظ تواتر الفعل المضارع لدى المحاجين في التحدث عن حياة المرثي، وكأنهم يستحضرونه مع المتلقي مما يضفي جوًا تفاعليًا على الخطاب. ويأتي التواتر عند الأعشى لنفي صفات مذمومة عن المرثي، كما سنرى في النفي، ولتقرير وإثبات قيم المرثي: يأتمر- ينتظر- تكفيه- يروي- يلمع – يدلج- يفسح. ثم يتوارى المضارع لدى الأعشى ليظهر الماضي بدءًا من البيت (28): عشنا- فارقنا- جزعنا- هدت- صبرنا- سلكت- كنت- ألمّ- أقبلَ- ضمّ، لكأنما أفاق المحاج من الصدمة وأدرك حقيقة الفقد المرة! ويسود الفعل المضارع خطاب كعب كله، كأنما يتحدث عن حي لا عن ميت، وكأنه لم يستوعب الصدمة بعد، لولا أنه أحيانًا يقرن المضارع بـ (كان) لينزع عن المضارع خاصية الاستحضار والتمثّل: كان يكفيني - وكان يعينني- كان يفعل- كان يهتز. أما عند سعدى فيكثر المضارع لوصف حالها بعد نبأ الفقد: أروّع – لا أهجع- أبيت- تبين- تبكي- تهمع- تدمع- يجزع- أيقنت- أنسى- يفجع، وبعد ذلك للإشادة بقيم في المرثي: يرى- يرد- يكبر- يعتلي- يجبك.

التكرير، سنركز فيه على مكررات ذات بعد حجاجي، تمثل بؤرًا انفعالية لدى كعب وسعدى، فكعب كرر كلمة (الندى) ست مرات، مما يجعل منها مركزًا دلاليًا مهيمنًا على كثير من عناصر النص ووحداته، بدلالة سريان قيمة الكرم في نسيج النص كله، كما سيتضح لاحقًا. وهناك مادة (حلم) خمس مرات، وهي وإن لم تصل إلى درجة المركز المهيمن، إلا أنها مهمة حجاجيًا لكونها تعبّر عن رغبة كعب في تأكيد قيمة عليا يعز وجودها في زمن طغت فيه الجهالة والغضب والعصبية، ويكرر كلمة (أخي) خمس مرات، وكلمة (فتى) و (أبا المغوار) مرتين؛ ليدل على استحواذ المرثي على مشاعر المحاج، مع تلذذ المحاج وطربه واعتزازه بالمرثي. وقِس على ذلك تكرار سعدى اسم أخيها (أسعد) أربع مرات، وتكرر مادة (بكى) خمس مرات، لتدل به على هول الفاجعة، بدليل أنها رددت مترادفات للبكاء: تهمع/ تدمع. كما كررت في سياق تلقي المصيبة مادة (علم) ثلاث مرات؛ ربما للتخفيف من حرقة البكاء، وكأنها تقول: ما بالي أسكب الدمع مع علمي بما فعل الموت بالناس من حولي؟! ويكاد أن يختفي التكرير عند الأعشى، فلم يُرصد له إلا لفظة (جاء) في البيت (3)، وهو تكرار غير معبر عما وراءه حجاجيًا؛ ولذلك فإن عدم استثمار الأعشى لعنصر التكرير يعد مأخذًا حجاجيًا بلا شك؛ إذ سيحرم خطابه من تلك الأبعاد الحجاجية التي كانت ستسهم في تعميق حجاجه وتأكيده.

2. 2 التراكيب

يهمنا قياس اتساق التراكيب النحوية المكثفة مع مسألة مراعاة مقتضى الحال، وهو حال الرثاء وما يتصل به من أشجان وعواطف تصطبغ بها لغة المحاج. أهم الظواهر التركيبية:

التدفق في الخطاب الرثائي عمومًا، أي انسياب الأسلوب دون تعقيد والتواء. وقد نجد تراكيب لا تخلو من تعقيد، ناجم إما من التكرار المكثف، في قول كعب:

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه مرارًا ويدعوه الندى فيجيب

أو من اضطراب الرصف أو تداخل الكلام وتراكبه، وهو التعاظل (ينظر العسكري، ت.395هـ، ط.1986). ومنه قول سعدى:

ولقد بدا لي قبل فيما قد مضى وعلمت ذاك لو أن علمًا ينفع

وهذا على أثر الذي هو قبله. فأحدث توالي الأدوات والضمائر والإشارة لبسًا في الإحالة.

النفي، وهو أكثر التراكيب دورانًا لدى المحاجين في سياق إثبات القيم للمرثي، خصوصًا لدى الأعشى الذي يقول: لا تغب الحيَّ جفنتُه، وهي القصعة العظيمة (ينظر ابن منظور، ت.711هـ، ط. 1993، مادة جَفَن)/ لم تر أرض ولم يسمع بها أحد إلا بها من نوادي وقعه أثر/ وليس فيه إذا استنظرته عجل/ من ليس في خيره شر/ ولا في صفوه كدر/ لا يغمز الساق من أيْنٍ ومن وصب[5]/ لا يعض على شرسوفه الصّفَر[6] / لا يتأرّى لما في القدر يرقبه[7]/ على العزّاء منصلت[8] بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر/ لا يصعب الأمر/ لا يهتك الستر/ لا يشدّ إلى جاراته النظر/ لا يأمن الناس ممساه ومصبحه/ لا يعجل القوم أن تغلي مراجلهم[9]. وقد يأتي للاعتبار بالدهر والتعبير عن ثباته وحكمته، كما في مطلع الخطاب. ويأتي عند كعب في سياق إثبات القيم: لم تحتجنه[10] / لا ينال عدوه/ لم تنطق العوراء/لا فاحش/ ولا ورع[11] / لم يكن يخيب/ لم يقص المحلةَ بيتُه/ كأن أبا المغوار لم يوف مرقبًا[12]/ ولم يدع فتيانًا كرامًا لميسر[13]، وفي وصف طالبي معروفه: فلم يستجبه عند ذاك مجيب/ لم يجد من يعينه. وقد يأتي لوصف نفسيته من جراء الفقد: لم أعيَ ولم أُلِح[14]. أما عند سعدى فيحصر النفي في وصف شعورها بعد الفقد: لا أهجع[15]، أو الاعتبار من الحدثان فحسب: لا يعتبان/ لن يرجعوا.

الاستفهام: ينحرف عن غايته، وهي طلب الإجابة عن السؤال، إلى غايات تكشف عن قيمة المرثي القصوى. يكون لدى كعب للتعجب من قيمة المرثي وتفرده عن غيره، مشوبًا بالحسرة على فقده: ماذا تضمن قبره/ أخي ما أخي/ ما يبعث الصبح غاديًا/ ماذا يؤدي الليل. وقد يكون للتحسر والتفجع من موت المرثي إلى حد التغير والذهول: ما لجسمك شاحبًا/ وحدثتماني أنما الموت في القُرى فكيف وهاتا هضبة وقليب، وماء سماء، ومنزلة في دار صدق. وعند سعدى للتفجع والتأمل والاعتبار والتعزية: أمن الحوادث والمنون أروّع/ أفليس فيمن مضى لي عبرة/ كم من جميع الشمل...، وقد

يأتي عندها للإنكار مع التفجع والافتخار: فكيف أنسى فقده، أو للإنكار والتعنيف للخائن: أجعلتَ أسعد للرماح دريئة[16]/ أي جرْد ترقع[17]. وينعدم الاستفهام لدى الأعشى، فُحرم خطابه من تقنية قمينة بإذكاء التفاعل لدى المتلقي، ومن ثم تماهيه مع المحاج في ألم الفقد، وتقدير قيمته.

الشرط: يكثر عند الأعشى في الحديث عن إنعام المرثي على أهله وطالبي معروفه، وبه يتضح عظم المصيبة، ومن ثم قيمة المرثي المميزة: ثم المطيَّ إذا ما أرملوا جزروا[18]/ لا تأمن البازل ضربته بالمشرفي إذا ما أخروّط السفر[19] / إذا لم يغز ينتظر. إلى غير ذلك من الأمثلة. وقد يأتي به لوصف حالهم بعده: فإن جزعنا فقد هدت مصيبتنا/ وإن صبرنا فإنا معشر صبر. ويأتي عند كعب في سياق المقارنة المؤلمة بين حياة المرثي وبين موته: فإن تكن الأيام أحسن... فقد عادت/ لعمري لئن كانت أصابت مصيبة ... لقد كان. وهناك شرط بأداة التمني (لو) لدى الأعشى: فظلت مرتفقًا للنجم أرقبه حرّان مكتئبًا لو ينفع الحذر/ لو لم تخنه نفيل، ألمّ بالقوم. وعند كعب: فلو كان ميتٌ يُفتدى لفديته، ويتكثف عند سعدى: لو أن علمًا ينفع، لو أن علمًا نافع، لو أنهم بلغوا الرجاء، فوددت لو قبلت بأسعد فدية. وكلها اشتراطات يعي المحاجون أنها مستحيلة، إنما لينفثوا فيها آهاتهم على فقده، وتأثيره الكبير عليهم.

الإحالة: وهي متعلقة بالكنائيات التي يوظفها المحاجون للإشارة إلى المرثي وقيمته، فالأعشى كثيرًا ما ينتقل من المتكلم المحاج (1- 4) إلى الغيبة المرثي(5 ،6، 9، 10، 11، 12، 13) إلى المخاطب (المرثي)(14) وعاد إلى الغيبة في (16- 27)، ثم تحول إلى المتكلم (28)، وهكذا ينوع إلى آخر الخطاب في قالب حركي جميل. أما كعب فيراوح بين ضمير المتكلم المحاج(1، 2، 3، 5، 6، 7، 8، 13، 15، 16، 17، 18، 21، 24، 41، 43، 45) والغائب المرثي (30 الباقية). وأما سعدى فيسود ضمير المتكلم (1- 8)، ثم ضمير الغائب المرثي (13- 18) وفي البيت (19) التفاتة رائعة إلى الخائن أو المتخاذل، ثم راوحت بين الضمائر إلى نهاية الخطاب. وهذا الرصد لتلك الإحالات أعطى مؤشرًا قويًا على الحضور المستمر والقوي المتناوب لذوات معينة (المرثي والمحاج)، أو لعنصرين إشاريين رئيسين يمثلان (مركز المقام الإشاري) (الزناد، 1993)، هما المرثي والمحاج نفسه، إضافة إلى عنصر أو إحالة ثانوية، وهي: الخائن عند الأعشى وسعدى، ما يدل على حضور قضية جوهرية انبثق عنها الحجاج، وهي قضية الفقد للأخ وتداعياتها المختلفة التي تتجه إلى إبراز قيمة المرثي العظيمة. أما الإحالات الأخرى غير الضمائر فلا تكاد تذكر؛ فالأعشى جاء في (5) بـ (الذي) ليشير به إلى المرثي، وكعب في (13) بـ (التي) ليشير إلى المنية والفاجعة، وسعدى باسم الإشارة (هذا) مرتين متواليتين (23، 24)، لتشير إلى الموت استعظامًا له ويقينًا من وقوعه.

أساليب أخرى يخاطب في أكثرها المحاج المرثي ويناجيه، وكأنه حي يسمع، مع ما تبينه من قيمة المرثي وتؤكده، إضافة إلى ما تبثه في الخطاب من حيوية ونفَس حواري، خصوصًا عند كعب وسعدى، وكأن هناك مجادلًا. منها أساليب طلبية،كالنداء لدى كعب للفخر بالمرثي والتفجّع: يا من يجيب إلى الندى، وسعدى تخاطب المرثي بفخر وتحسر: يا

مطعم الركب الجياع. الأمر عند كعب، ويكون للتعجيز والفخر المبطن بالحط من شأن الآخرين: فقلت ادع أخرى، أو للفخر وتهويل المصيبة وتعميمها على كل معوز وبائس: ليبكك داع لم يجد من يعينه. وبالمثل عند سعدى: فلتبك أسعد فتية بسباسب[20]، والدعاء عند الأعشى مباشرة مشوبًا بالتهديد للخائن: لا يهنِيء لك الظفر، أو محض الدعاء المقترن بالأمر للمرثي نفسه: فاذهب فلا يبعدنك الله[21] منتشر، وعند كعب وسعدى يأتي الدعاء للتعجب والإعجاب والفخر بالمرثي مع التحسر على فقده، وعلى طريقة العرب في هذه الحالة، وهي قول كعب: هوت أمّه[22](مرتين)، وتقول سعدى: ويلمّه/ ويلمّ[23]، وقد يأتي لمجرد الدعاء، كقولها للخائن: هبلتك أمك، أي فقدتك (ينظر الشنتمري، ت. 476هـ، ط. 2001). وهناك أساليب غير طلبية، كالتوكيد الذي ينتثر في الخطابات بأدواته(لقد، إن، قد)، لتؤكد على قيمة المرثي، أو صدق شعور المحاج تجاهه، أو العلم بحقيقة الموت. والقسم عند كعب الذي يستثمره ليطمئن المتلقي ويرضخ لفخره بالمرثي: لعمري لئن كانت أصابت، لقد كان أما حلمه، والاعتراض عند الأعشى: وهي خائنة، لينص على سبب مقتل المرثي، وعند كعب: ولم أعيَ الجواب ولم أُلِحْ، يا أم عمرو، لينبه إلى مكانة المرثي لديه. وتكرر سعدى الجمل لتأكيد حقيقة الموت للتخفيف من لوعتها، إذ كررت عجز (4): وعلمت ذاك لو أن علمًا ينفع، في صدر (7): ولقد علمت لو أن علمًا نافع، والتمني عند كعب في الفداء: فلو كان ميت يفتدى لفديته، وسعدى: فوددت لو قبلت بأسعد فدية.

2. 3 الموسيقى

الموسيقى الخارجية، اختار المحاجون بحورًا شائعة ذات نفس ممتد؛ ليسكبوا فيها حججهم، فجاء خطاب الأعشى على بحر البسيط، وكعب على الطويل، وسعدى على الكامل. ومع هذا اجترح كعب التضمين مرة؛ فالبيت (17) متمم لمعنى (16). وكذلك سعدى: فالبيت (4) يكتمل معناه بـ (5). أما القافية، وهي آخر كلمة في البيت، فقد استثمرها كعب وسعدى حجاجيًا؛ فكعب ضمنها كثيرًا من مناقب المرثي: (ذهوب، كسوب، قطوب، حبيب، مهيب، هيوب، غضوب، غلوب، أديب، أريب، قريب)، ومن تقلبات الزمان التي تبلغ بقيم المرثي منتهاها: (تشيب، نكوب، شعوب، تنوب، شحوب، تصيب، ذنوب، هبوب، جديب)، مع توصيف المنتفعين بقيم المرثي، فهم ما بين: (شحوب، غريب). ونجد سعدى تضمن القافية جوانب عدة، كوصف حالها بعد نبأ الفقد: (لا أهجع، تهمع، تدمع، يجزع، مضجع، الموجع، أشنع)، والاعتبار بالموت وأحوال قومها بعد الفاجعة: (ينفع، سيتبع، فمودّع، لن يرجعوا، متّعوا، فتصدعوا، يتمزّع، يخشع، المهيع، ويفجع)، مع ذكر قيم المرثي: (أروع، زعزع، مسقع، مشيع، سميدع)، إلى وصف النماذج المضادة للمرثي: (الوعوع) وأحوال المنتفعين: (تسرّعوا، ضلّع، الجوّع)[24]. ولا نجد مثل هذا الاستثمار لدى الأعشى؛ إذ إن معظم قوافيه ارتبطت بالبيت ارتباطًا دلاليًا شديدًا، مثلًا قوله:

من ليس في خيره شر يكدره على الصديق ولا في صفوه كدر

لا يُفهم المراد من القافية (كدر) إلا بالإحاطة بالمعنى الإجمالي للبيت. في حين أن قليلًا من قوافيه تضمنت شيئًا من أوصاف المرثي، وهي فقط: (الغيَر، الحذر، يقتفر).

الموسيقى الداخلية التي تنطوي على صدى إيقاعي محبذ، مع مراعاتها لمسألة اقتضاء المعنى لها، فهي ذات وظيفة تعبيرية، وتلك سمة للمحسنات المقبولة في النقد العربي (ينظر الجرجاني،ت. 471هـ، ط. د.ت). وهي غالبًا ما تساق في تعداد قيم المرثي وإبراز تداعيات فقده، وأهمها الطباق أو الثنائيات الضدية، كما عند الأعشى: استنظرته/ عجل، ياسرته/ عسر، خيره / شره، صفوه/ كدر، مكساب/ عدموا، ممساه/ مصبحه، جزعنا/ صبرنا، ورد/ صدر، يضيء/ سواد. وعند كعب: حلو/ أمره، مروّح/ عزيب[25]، جياء/ ذهوب، الموت/ الحياة، غاديًا / يؤوب، غاب/ حلّ، صادق/ كذوب. وعند سعدى: ملتئم/ فتصدعوا، يعلو/ يخشع. وأما الجناس فبين لفظتين إحداهما في بدء البيت والأخرى في القافية، في قول الأعشى: أجحر/ الحُجر[26]. وفي قول كعب: جاء/ جياء، قضيب/ قليب. وهناك التقسيم في قول سعدى:

سبّاق عادية وهادي سرية ومقاتل بطل وداع مسقع

2. 4 التصوير

ستُذكر الصور هنا مع أن برلمان وتيتيكا ذكراها ضمن الحجج المؤسسة للواقع؛ لأن "اهتمامهما لم يكن منصبًا على الصور من حيث مقومها الأسلوبي، إنما على قيمتها ومعناها الحجاجيين اللذين يمدهما الاستعمال الخطابي" (الدهري، 2011، ص. 20)، وهي قيمة متأتية من كون المجاز أبلغ من الحقيقة في التعبير عن التجربة بصدق يستبطن الفكر والأحاسيس (ينظر الجرجاني، ت. 471هـ، ط. 1992)؛ لأجل ذلك ارتأى البحث ألا يُفصل التصوير عن الأسلوب في دراسة الحجاج، وتأييدًا لبعض الباحثين (مشبال، 2018). وأهم عناصرها:

التشبيه، وظفه المحاجون لتجسيد مناقب المرثي، على تفاوت بينهم، ومنه التشبيه المفرد: عند الأعشى: النّوفل الزّفر[27]، وكعب لديه: هو العسل الماذيّ[28]– وليث– كعالية الرمح الرديني[29]، وهي تشبيهات دارجة في الشعر القديم (ينظر الآمدي، ت. 370هـ، ط.1990)، وسعدى لديها تشبيه مفرد واحد: أجعلت أسعد للرماح دريئة، أي حلقة لتعليم الطعن كما ذُكر سابقًا. وهناك التمثيل وغالبًا ما يأتي في أعقاب المعنى المجرد، فيكون "برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر" (الجرجاني، د.ت، ص. 93)، ونماذجه من الحسّي الشّكلي المألوف، ويوظف للتأكيد على قيمة المرثي، فالأعشى يقول عن المرثي: كأنه يلمع من قدامه البشر[31]– شهاب يستضاء به كما يضيء سواد الطخية[32] القمر، وكعب لديه: كان يهتز للندى كما اهتزّ من ماء الحديد قضيب. ونجد عند سعدى تشبيهًا واحدًا فقط: يرد المياه ورد القطاة، وهي تقصد الهداية والهدوء مع الخفة والثقة في خطواته. غير أنه تشبيه قد تؤاخذ عليه؛ لأن الفتاة الحسنى يشبه "ممشاها بمشي القطاة في تقارب خطاها لعموم عجيزتها وربالة فخذيها مع نمائها في

أعطافها نعمة ولينًا"(الشـــنتمري، 2001، 1/ 220)، فربما لا يليق ذلك الوصـــف في مقام الرثاء والتأبين! ولديها تشبيه ضمني جميل، في قولها للخائن:

أجعلت أسعد للرماح دريئة هبلتك أمك أي جرد ترقع

تشـبّه محاولة الخائن إصـــلاح أخلاقه بعد أن ترك أخاها أســعد يواجه الرماح وحده، بمن يحاول أن يرقع الثوب الخلق الممزق ويصلحه، إذن لا يمكن إصلاحك، وستظل جباناً عديم المروءة والشهامة وقد يوظف المحاج التمثيل لوصف حاله بعد نبأ الفقد، كما فعل الأعشى: عشنا بذلك ثم فارقنا كذلك الرمح ذو النصلين[33] ينكسر

فشبه حالهم بعد مقتل المرثي برمح يفارق رأسُه أصلَه، بجامع عدم الفائدة والفاعلية. وكعب:

تقول سليمى ما لجسمك شاحبًا كأنك يحميك الشراب طبيب

فشبه مآله بعد الفجيعة بالمريض الذي منعه الطبيب من الشراب، بجامع الشحوب في كل.

الاستعارة، وأهم تقنياتها التشخيص، وهو إبراز الجماد والمجرد في شكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة (عبد النور، 1984)، إذ يلحظ تشخيص قيمة الكرم عند كعب لتكون حليفة للمرثي وضجيعة له، البيت (29)/ يبيت الندى يا أم عمرو ضـــجيعه، وتشـــخيص مصـــيبة الفقد: تتابع أحداث تخرمن إخوتي فالمنية "اقتطعته من أهله وذهبت به"(الشـــنتمري، 1/ 352)/ لقد عجمت[34] مني المصـــيبة ماجدًا/ جلّحت[35] علينا. وهناك اســـتعارة مكنية عند الأعشى: ولا في صفوه كدر/ على العزّاء منصلت، فالمرثي في العزاء والشدة منصلت، فهو مضاء وعازم كالسيف الذي جُرّد من غمده (ينظر ابن منظور، 1993)، مادة *صَلَت*)/ ولا يعض على شرسوفه الصفر/ لا يهتك الستر/ أشد حزيمي يقصد صدره (ابن منظور، 1993)، مادة *حَزَم*)؛ صبرًا على فراق المرثي. وسعدى: فتصدعوا[36] / متحلّب الكفين[37]/ أي جرد ترقع/ كشّاف داوي[38] الظلام/ سورة الجهل أطلقت حبى[39] الشيب، فشبه الشيب بمحذوف هو الرجل، وأبقى شيئًا مما يفعله، وهو الاحتباء.

الكناية، ويوظفها المحاج لتأصيل القيم لدى المرثي، فالأعشى يكني عن الكرم بقوله: من لا تغب الحي جفنته/ لا تأمن البازل الكوماء[40] ضربته. وكعب يكني: كثير رماد القدر/ قريب ثراه. وسعدى كذلك: ويكبر القدح العنود[41]. ويكني الأعشى عن الصبر والجلَد والتبذل للأضياف: لا يغمز الساق من أيْنٍ ومن وَصَب/ لا يعضّ على شرسوفه الصفر/ طاوي المصير على العزّاء منصلت/ مهفهف أهضم الكشحين[42]/ منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر. وتكني سعدى عن الشجاعة والإقدام: نسّال الفيافي[43]/ وبه إلى المكروب جري زعزع[44]. وهناك كنايات أخرى ستتبين في حجة القيم وغيرها.

المجاز المرسل، عند سعدى التي خصت العيون بالبكاء والإعياء: ولمثله تبكي العيون وتهمع/ وتبيّن العين الطليحة[45].

وتلك العناصر التصويرية تنزع إلى الحسية التي هي سمة في الصورة الجاهلية (ينظر ضيف، د.ت)، وجاءت غالبًا لتصور للمتلقي أن المرثي كان أنموذجًا فريدًا في المحامد والمآثر، ومن ثم يتفهم دوافع المحاج لرثائه وتحسّره على فقده له.

3. بنية الحجاج الموضوعية

ميّز بِرلمان بين تقنيات حجاجية عدة، وهي: الحجج شبه المنطقية، والحجج القائمة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع.

3. 1 الحجج شبه المنطقية

تشبه الطرائق الشكلية والمنطقية الرياضية في البرهنة والإقناع، لكنها ليست هي، ففي هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض (ينظر صولة، د.ت)، ولا يلزم الآخر التسليم بها، بل يمكن تبادل وجهات النظر حولها، فهي على النقيض من المنطق الصوري الذي تكون النتيجة إما الصواب أو الخطأ إلزامًا (المطيري، 2022). أهمها ما يأتي:

– **التماثل**، "مداره على التعريف من حيث هو تعبير عن التماثل التام بين المعرِّف والمعرَّف، وليس المعرِّف تمام المعرَّف على الحقيقة، لهذا سمي الحجاج من هذا القبيل حجاجًا شبه منطقي. فقولنا الرجل رجل أو الأب يبقى دائمًا أبًا، وهو من قبيل تحصيل الحاصل". (صولة، د.ت، ص. 327). ويمكن أن نستشف التماثل من إتيان المحاجين بشواهد على رسوخ القيم في المرثي، ليدلوا بذلك على أصالة القيم في المرثي، وكأنهم يقولون إن الكريم، مثلًا، يبقى كريمًا في أحلك الظروف المعيشية. هكذا يستظهر من قول الأعشى في (6، 7، 8، 9، 10، 16، 17، 20، 21، 25)، وكعب في (6، 12، 22، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 40)، وسعدى في (11، 12، 15، 16، 20، 27). لذلك يستحق المرثي أن تسكب على ذكراه العبرات، ويندبه الداني والقاصي، وأن يبقى له الذكر الجميل وحسن الأحدوثة.

–**الاشتمال**، أو إدماج الجزء في الكل، أي أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء (ينظر صولة، د.ت)، وهذه الحجة تستبين في تعزية المحاجين أنفسهم بالاحتجاج بشمولية المصيبة، فالمنية حوض يرده كل حي، وما المرثي إلا جزء من كل. وتكررت الحجة عند سعدى في أبيات عدة (4، 5، 6، 7، 8، 10، 23)، ثم كعب (5، 13، 14، 15)، وأشار إليها الأعشى في (32). كما تتمثل الحجة من جانب آخر: أن فقد المرثي فجيعة على العموم، وليس على الأخ المحاج فحسب، وهو ما سيتبين لاحقًا في حجة النفعية.

–**التبادل**، يحتكم إلى مبدأ منطقي هو التبادلية أي معاملة طرفين متماثلين المعاملة ذاتها، وذلك تطبيقًا لقاعدة العدل، (ينظر صولة، د.ت)، ومن التبادل مخاطبة كعب لأم عمرو[46]، وكأنه يقول لها لو كنت مكاني لصار حالك مثل حالي. كذلك يلحظ التبادل لدى سعدى، وكأنها تخاطب العذال:

وأبيت مخلية أبكّي أسعدًا ولمثله تبكي العيون وتهمع
و: هذا اليقين فكيف أنسى فقده إن راب دهر أو نبا بي مضجع

ومن الحجج القائمة على التبادل: العلاقة العكسية التي يمكن أن تنشأ عن قلب وجهات النظر (ينظر صولة، د.ت)، ويمثل لها بقول الأعشى:

أصبت في حرم منا أخا ثقة هند بن أسماء لا يهنيء لك الظفر

فلن يهنأ القاتل بفعلته الآثمة التي يظنها شجاعة وفروسية، وهي في نظر المحاج دناءة وغدر وخيانة، وسيُثأر للمرثي قريبًا.

– **الوقائع**، تمثل ما كان مشتركًا بين أشخاص معينين أو بين الناس أجمعين، وهي بطبيعتها تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج؛ لأنها عادة لا تتعرض للدحض أو الشك (ينظر صولة، د.ت)، يأتي تقرير الوقائع لدى المحاجين في إثبات الحالات، كذكرهم واقعة الموت وتداعياتها عليهم وعلى قبيلتهم، وكإثباتهم للمرثيين مصفوفة من الفضائل والقيم التي يمجدها العربي ويتغنى بها، كالشجاعة والكرم والحلم والعفة وغيرها، كما سيتضح في حجة القيم، وهذا يدعم الرأي الذي يقول إن المعاني في الشعر الجاهلي تكاد تكون واحدة (ينظر ضيف، د.ت)، ويتوقف نجاح المحاج كثيرًا على إقناع المتلقي بتجاوزه الادعاء بوجود القيم في المرثي إلى البرهنة عليها، وحينئذ تصبح تلك الوقائع القيمية حقائق يخلد بها المرثي ويرتقي مراتب السيادة. وسنرى إلى أي مدى بلغ المحاجون في مسألة الإقناع في الحجة المقبلة.

– **القيم**، لها مجالاتها المتعددة، وهي: الحقيقة، والجمال، والأخلاق، والمتعة، والذرائع (شارودو، 2021)، والحجاج بالقيم يعول عليه كثيرًا؛ لأنها إرث المجتمع المتفق عليه، مما يزيد في إذعان المتلقي. ومع هذا فإن الحجاج بالقيم حجاج شبه منطقي(ينظر صولة، د.ت)؛ لا يلزم الآخر الاعتقاد بوجودها في المرثي، إذ قد يعاند المتلقي ويرى أن المحاج يدعي نسبتها إلى المرثي أو يبالغ في ذلك، وبخاصة أنه يعلم مدى قرب المرثي من المحاج. وفي الفكر النقدي العربي يعد المصيب من مدح أو رثى بالفضائل المعنوية الرئيسة: العقل والشجاعة والعدل والعفة والكرم والحلم، والذي يقتصر على بعضها لا يخطئونه "لكن يسمى مقصرًا عن استكمال جميع المدح"(ابن جعفر،1978، ص. 66). وسيفصل البحث فيها؛ لأنها مدار الحجاج ولحمته. أول ما يرصد أن المحاجين يشتركون في التغني بقيمتين رئيستين، أو الإغراق في الرثاء بهما: هما الكرم ثم الشجاعة، مع الإتيان بكثير من خواصهما في المرثيين، وهذه الخواص أو الأحوال قمينة بإبعاد تهمة الادعاء أو المبالغة عن المحاج التي يمكن أن يجابهه المتلقي بها. وكان كعب أقوى في توظيف حجة الكرم، إذ خصص لها (22) بيتًا، ربما لأن مرثيه كان "أريحيًا يهتز للندى" أكثر من غيره، أو لأنه أفاد شخصيًا من كرم المرثي كثيرًا، كما يتضح من:

أخي كان يكفيني وكان يعينني على نائبات الدهر حين تنوب

في حين اقتصر الأعشى على (7) أبيات لقيمة الكرم، وسعدى على (3) أبيات فقط، وكان أكثر ما يتجلى الكرم في الشتاء والأسفار زمني الجدب والحاجة، وذلك التجلي يبلغ بالكرم منتهاه، ومن صوره المبادرة بالزاد والتعجيل قبل غيره، وهو مما يتمدحون به (الشنتمري، 2001). وفيه يقول الأعشى:

عليه أول زاد القوم إن نزلوا ثم المطيَّ إذا ما أرملوا جزروا

ويقول أيضًا: "نعيتَ من لا تُغِبّ الحيَّ جفنتُه"، وذلك في تلك الأوقات العصيبة:

وراحت الشول[47] مغبرًا مباءتها[48] شعثًا تغيّر منها النِّيُّ[49] والوبَر

وأَجحَرَ الكلبَ موضوعُ الصقيع به وألجأ الحيَّ من تنفاحه[50] الحُجَرُ

فحينئذٍ: لا تأمن البازلُ الكوماء ضربته بالمشرفيّ، بل إنها لتفزع حتى تقطّعت في أعناقها الجِرِرُ[51]؛ لأنها اعتادت أن ينحرها، وتلك عادة الكريم لإقراء أضيافه وإطعام المعدمين (ينظر المبرد، ت.285هـ، ط.1997)، وكعب يقول:

مفيد، ملقّى القائدات، معوّد لفعل الندى، للمعدمات كسوب

فهو مستفيد المال، وإبله لا تزال تلقى منه المكروه لأنه ينحرها للضيوف، وفوق ذلك يعطي ما اكتسبه للفقراء المعدمين (ينظر الأصمعي، د.ت). ويقول: أخو شتوات يعلم الضيف أنه سيكثر ما في قدره ويطيب

وسعدى تقول:

فلتبك أسعد فتية بسباسب أقووا وأصبح زادهم يتمزع[52]

ومثله في المعنى البيت (20)، وتقول أيضًا:

سمح إذا ما الشول حارد[53] رسلُها واستروح المرق النساء الجوّع

وكذلك مرثي سعدى "يكبّر القدح العنود"، أي يدخل في الميسر لغوث الفقير والمحتاج، وذلك من علامات الكرم والبذل في الجاهلية(ينظر ضيف، د.ت). ونجد كذلك براهين تدل على قيمة الشجاعة، خصوصًا عند الأعشى، فالمرثي مظفر مجرّب ينكّل بأعدائه: ومما يعكس ذلك:

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه من كل فجّ إذا لم يغز ينتظر

ويكفيك وصفه له بأنه: "أخو حروب"، و "ورّاد حرب". وفيه قوة العزم والنجدة: لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه، فينتهي كل شيء لصالحه، وصولًا إلى السير في القفار الموحشة: منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر. وكذلك كان مرثي كعب جسورًا مظفرًا: إذا حل لم يقص المحلة بيته، ولكنه الأدنى حيث تنوب/ لم يكن إذا ابتدر الخيلَ الرجال يخيب/ ولا ورع عند اللقاء هيوب/ وليث إذا يلقى العدو غضوب/ كعالية الرمح الرديني/ في عين العدو مهيب. وقل مثل ذلك في أسعد مرثي سعدى: الكميّ/ يُليذ بظهره إبلًا/ وبه إلى المكروب جري زعزع/ مقاتل بطل/ للرماح دريئة/ إن تأته لحاجة يجبك لها/ نسّال الفيافي/ جواب أودية بغير صحابة/ كشّاف داوي الظلام مشيّع/ يرد المياه حضيرة ونفيضة إذا اسمأل التبّع[54]. وتلك الجرأة على السير في المهامه المظلمة مما يمتدح بها لدى العرب (الشنتمري، 2001)، ناهيك عن غيرها من القيم المعروفة.

بعد ذلك، يتباين المحاجون في الاحتجاج بقيم أخرى، كالعفة مثلًا، فمرثي الأعشى يتجنب الفواحش: لا يهتك الستر/ ولا يشد إلى جاراته النظر، وكعب يقول: لا فاحش عند بيته. ولم تذكرها سعدى مع أنها من القيم الرئيسة لدى العربي. وهناك الحلم الذي يتكرر لدى كعب وحده: أما حلمه فمروّح علينا، وأما جهله فعزيب/ حليم إذا ما الحلم زيّن أهله/ هو العسل الماذيّ حلمًا/ حليم إذا ما سَورة الجهل أطلقت. وعند الأعشى العقل، ومنه العدل: يأبى الظُلامة، والحكمة: منه النَّهي والغيَرُ/ وليس فيه عجل/ وفي المحافل الجد والحذر، ومنه عند كعب العلم: عروفًا لريب الدهر/ أريب، والحياء واللين: حبيب إلى الخلان غشيان بيته/ أديب/ وليس فيه عسر. وعند الأعشى: الصبر والجلَد: لا يغمز الساق من أيْنٍ ومن وَصَبٍ/ لا يعضّ على شرسوفه الصفر/ طاوي المصير على العزّاء منصلت، والقناعة وعدم الشَّرَه: لا يتأرّى لما في القدر يرقبه/ تكفيه حزة فلذ[55]/ ويروي شربه الغُمَر[56]، التفاؤل وحسن الطالع: يلمع من قدّامه البشر، مع الهداية والتبصر: ولا يزال أمام القوم يقتفر[57]. وقد تفرّدت سعدى بجمع صفات في بيت:

متحلّب الكفين أميث بارع أنف طوال الساعدين سميدع

منها ما يدخل في العقل والفصاحة: بارع، مصقع[58]، ومنها اثنتان في الكرم: متحلب الكفين، أميث، وواحدة في الجسم: أروع[59]، وواحدة تستوعب قيمًا عدة، معنوية وحسية: وهي (سميدع)؛ إذ تعني: الكريم، والسيد، والجميل، والجسيم، والشجاع (ابن منظور، 1993) مادة سَمَد)، لكنه تفرّد باق في دائرة الافتراضات التي يصعب تصديقها؛ إذ لم تأتِ سعدى بمواقف تعزز تلك الصفات لتبلغ درجة القيم الراسخة، كما فعلت في قيمتي الكرم والشجاعة.

وبناء على ما يعرف بـ (هَرَمية القيم) لدى برلمان، ومفادها أن القيم درجات في التسليم والاقتناع، ويتفاوت الجمهور في درجة التسليم بما يدعيه المحاج (ينظر صولة، د.ت)، يمكن أن يُستنتج أن مرثي كعب تبوّأ القمة في القيم؛ لأنه استوفى القيم الرئيسة في الفكر العربي، يأتي بعده مرثي الأعشى؛ لأنه لم يصفه بالحلم، ثم مرثي سعدى لعدم مدحه بالعفة والحلم، وهما قيمتان رئيستان عند العرب (ينظر ابن جعفر، 1978). ومع ذلك يمكن أن نقول إجمالًا إن المرثيين يحوزون السيادة والقيادة؛ لأن السيد من مُدح بالشجاعة والبأس والنجدة، والجود والسماحة والتخرق في البذل والعطية والعفة والعقل والحلم، مع عدم ميل المرثي إلى خفض العيش ودعته، بل أفنى حياته "في اكتساب المجد، من غزو وسفر وخدمة ضيف ونصرة ملهوف وغير ذلك من وجوه المجد"(الشنتمري،1/ 585). وهناك أوصاف حسية تدعم السؤدد لدى المرثيين، فقد وصف الأعشى مرثيه بأنه (مهفهف أهضم الكشحين)، وهو يدل على الصبر والإيثار وعدم الشره والكسل، وذلك مما يمتدح به (الشنتمري، 2001)، كما وصف كعب المرثي بأوصاف حسية: (جميل المحيا، وضّاح الجبين)، يمتدح بها عند العرب، يقول الآمدي (1990) "جمال الوجه وحسنه مما يمدح به؛ فإن الوجه الجميل يزيد في الهيبة، ويتيمّن به العرب؛ لأنه يدل على الخصال المحمودة" (1/ 368).

ومن جانب آخر يعد جمال المحيا ووضاحة الجبين دليلًا على الطلاقة والبشر عند السؤال وحسن اللقاء، وهذا من الجود والكرم (ينظر الآمدي، 1990)، أضف إلى ذلك أنه قد يقصد بوضاح الجبين "أنه مشهور بالكرم لأن أشهر الألوان البياض" (الشنتمري، 2001، 1/ 465)، ومثلها عند سعدى (أروع)، يقال فيها نحو ما قيل في (وضاح الجبين)، وعندها: (طوال الساعدين)، "أي هم طوال الأيادي في الخير للولي والشر للعدو" (الشنتمري، 2001، 1/ 199).

3. 2. الحجج المؤسسة على بنية الواقع

وهي حجج تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وجعلها مقبولة (ينظر صولة، د.ت)، وقد ميّز برلمان بين صنفين كبيرين لهذه الحجج: الأول: حجج الاتصال التتابعي، والآخر: حجج الاتصال التواجدي.

1.2.3. حجج الاتصال التتابعي

ويكون الاتصال فيها بين ظاهرة ما وبين نتائجها أو مسبباتها (ينظر صولة، د.ت)، وتحددها علاقات التعاقب بين النتيجة والسبب (ينظر مشبال، 2018)، أهم وجوه الاتصال التتابعي:

- **السببية**، غايتها الربط بين حدثين متتابعين، أو استخلاص أسباب من حدث ما، أو التكهُّن بما سيتمخّض عن حدث معين من نتائج، ومن ثم تثمين هذا الحدث وتقييمه (ينظر صوله، د.ت)، ومن صورها تعليل المحاجين أحزانهم العميقة بأنها لمقتل المرثي، كما عند الأعشى (3، 29، 30)، وكعب (1، 2، 3، 4، 5)، وسعدى كذلك (2، 3). كما تستبين السببية في إسهاب المحاجين في مناقب المرثي والاعتداد بنعمه عليهم وكفه لنوائب الدهر عنهم، وهو منحى في الرثاء معلوم (ينظر الآمدي، 1990)؛ من أجل تثمين قيمته وفداحة المصيبة التي حاقت بهم، ليشاركهم المتلقي وجدانيًا، ويدرك مدى تداعيات الفقد عليهم، التي منها عند الأعشى (حرارة، اكتئاب، قلق، جيشان، جزع)، وعند كعب: (بكاء، حزن، شحوب، شيب، مرارة)، وعند سعدى (ترويع، سهاد وأرق، بكاء، جزع، تذكر، تفجع). إلى جانب تداعيات حياتية لدى المحاجين، فعند الأعشى (الانكسار، البلاء)، وكعب (المرارة، القلة، ذنوب، الفساد، انقطاع الندى، عدم الإعانة)، وسعدى (التصدّع، الإقواء وتمزع الزاد، خشوع الجد). وتتضح السببية في أمر جزئي لدى الأعشى وسعدى، وهو أن الخيانة كانت سببًا لمقتل المرثي، وهذا مؤشر قوي على شجاعة المرثي، إذ لم يستطع عدوه النيل منه إلا بالغدر والخيانة. على حين لم يشر كعب إليها؛ لأن فقيده لم يغدر به، إنما مات مريضًا، كما يستظهر من الخطاب (43، 44، 45).
- **النفعية**، هي معيار الحكم على حسن العمل والأخذ به أو قبحه ومن ثم تركه، وهي حجة تربط بين الحدث والنتيجة المترتبة عليه (ينظر مشبال، 2018). وتستبين حجة النفعية للمرثي في الخطاب كله تقريبًا، إذ يأخذ المحاجون في تعداد مآثر المرثي وما آل إليه حالهم بعده، في نوع من المقارنة بين ثنائية الماضي والحاضر التي تشكل نسيج الخطاب

كله، ونجم عن هذه المقارنة أن نشأت حالة من اليأس لدى كعب أدّت إلى نوع من السخط والذم للدهر والأيام والدنيا بعد المرثي، كما في (2، 3، 4، 5، 8 ، 18 ، 21). في حين اكتوى الأعشى وسعدى بنار التوجع والتفجع والأرق بعد موت المرثي. وأكثر ما تسفر النفعية في أوقات الأزمات والجوائح التي حاقت بهم إبان حياة المرثي، التي رأيناها في حجة القيم، ولذلك كانت نفعية المرثي نوعًا من أنواع الجود وهو "دفع جود الجواد عطاياه لنوائب الدهر"(الآمدي، 1990، 3/ 190). وتتخذ النفعية مستويين عند كعب: مستوى خاص صريح، يمس المحاج نفسه، كما في قوله:

أخي كان يكفيني وكان يعينني على نائبات الدهر حين تنوب

ومستوى عام، يتعدى إلى القبيلة، كما في كثير من الأبيات، ومنها:

غنينا بخير حقبة ثم جلّحت علينا التي كل الرجال تصيب

بل إلى الناس المعوزين عمومًا: كثير رماد القدر رحب فناؤه إلى سند لم تحتجنه غيوب

وهذا يعني أنه سيد يكثر وراده وزواره، ويحل بالروابي ليبرز لضيوفه ولا يتوارى عنهم (ينظر الأصمعي، د.ت). والنفعية عامة عند الأعشى:

لم ترى أرض ولم يسمع بها أحد إلا بها من نوادي وقعه أثر

فكلٌ قد أفاد من نداه وكرمه. وعامة أيضًا عند سعدى:

ذهبت به بهر فأصبح جدها يعلو وأصبح جد قومي يخشع

وبهذا يستبين أن كعبًا أقوى منهما نفعيًا؛ لمجيئها عنده على المستويات كلها، وإن كانت سعدى أكثر إلحاحًا من كعب على النفعية الأعم (11، 15، 16، 20، 21، 26). إذن فالمرثي لدى المحاجين نافع على كل حال أو بإطلاق، أقول هذا وإن لم يصرح الأعشى وسعدى بالمنفعية الخاصة، كما فعل كعب، وإنما تفهم من حالة التفجع والحسرة والعويل التي تصبغ الخطاب، وبهذا يتحقق عند المحاجين مبدأ عام في الحجاج مؤداه أن من كان أنفع في معظم الأوقات فإنه أفضل ممن ليس بنافع في وقت ما، وهي نفعية تقصد في الرثاء قصدًا، وبها يتميز عن سائر الفنون الشعرية (ينظر الدريدي، 2011). لذا لا عجب أن يثبت كعب وسعدى نفعية المرثي العظيمة برغبتهم في التضحية لأجل المرثي، والتي تمثلت في مسألة (الفداء) عند كعب وسعدى. يقول كعب:

فلو كان ميت يفتدى لفديته بما لم تكن عنه النفوس تطيب

بعينيّ أو يمنى يدي وقيل لي هو الغانم الجذلان حين يئوب

أما سعدى فتقول:

فوددت لو قبلت بأسعد فدية مما يظن به المصاب الموجع

فلم تحدد شيئًا عزيزًا ككعب، إنما تركت باب التخمين مفتوحًا، باستعمالها (ما) التي هي نكرة تامة تصلح أن تحل محلها كلمة (شيء) (ينظر حسن، د.ت)، أي شيء. أما الأعشى فلم يصرح بالفداء، ولكنه توعّد في البيت (31) الخائن بالثأر والانتقام، وهذا فيه تعريض للنفس للهلاك وتضحية بها.

- **التبذير**، تقوم على الاتصال والتتابع في العمل، وعدم التوقف، لكيلا يضيع الجهد السابق، (ينظر صولة، د.ت)، و"على الحفاظ على قرارات أو تدابير معينة استجابة لغاية معينة" (مشبال، 2018، ص. 160)، وأكثر ما تتبدى لدى المحاجين في فكرة التخليد للمرثي على الرغم من علمهم بحقيقة الموت، وإلحاحهم على الاعتبار، فلم يحفزوا على نسيان المرثي، ولو فعلوا لأصبح تغنيهم بمناقبه حينئذ غير مفيد وسيندثر ذكره حتمًا، وهم يريدون العكس؛ أن يظل ذكره عاطرًا عالقًا في النفوس وساريًا بين الناس. وتلمح حجة التبذير عند الأعشى:

فإن جزعنا فقد هدّت مصيبتنا وإن صبرنا فإنا معشر صبر

فبعدما ذكر التأثير الكبير للفقد، تماسك وأعلن أنه سيصبر صبرًا يعقبه انتقام من الخائن:

أصبت في حرم منا أخا ثقة هند بن أسماء لا يهنِئ لك الظفر

وتظهر لدى كعب في تصريحه بأنه سيبكي المرثي بصدق وإن علم أن "الراجي الحياة كذوب":

فإني لباكيه وإني لصادق عليه وبعض الباكيات كذوب

وتصرح سعدى في عدة أبيات بأنها تعلم أن الموت ناموس لن ينجو منه أحد، ولكن ذلك لم يصبرها على فقدان المرثي ونسيانه: (4– 7)، بل تقول: هذا اليقين فكيف أنسى فقده إن راب دهر أو نبا بي مضجع

- **الاتجاه**، وتتمثل في التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنازلية والمضي فيها قدمًا، وهي تقوم على تجنب هدف غير مرغوب فيه، وهو حصول العدوى أو انتشار سلوكيات سلبية أو مؤذية تتصادم مع القيم (ينظر صولة، د.ت)، فالمحاجون يبينون أن المرثي لا يتنازل عن قيمه أو يخضع لأمر يتنافى معها، فمرثي الأعشى كان لا يقبل الهزيمة ويخنع فيطمّع العدو فيه:

إما يصبك عدو في مناوأة يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر

كما أنه ثابت على مبادئه وقيمه وفيّ لها، لا يكدرها بالرذائل:

من ليس في خيره شر يكدره على الصديق ولا في صفوه كدر

وكعب يقول:

إذا ما تراءاه الرجال تحفّظوا فلم تنطق العوراء وهو قريب

فلعفته يمتنع الرجال في حضرته عن الكلام الفاحش القبيح، ويقول أنه يتدارك فورة الجهل بحلمه:

حليم إذ ما سَورة الجهل أطلقت حُبى الشيب للنفس اللجوج غلوب

وتتجلى الحجة أحسن ما تكون في مرثي سعدى، حين أدّى به خوفه من عار الفرار إلى الهلاك:

جاد ابنُ مجْدَعة الكميّ بنفسه ولقد يرى أن المكرّ لأشنع

2.2.3.حجج الاتصال التواجدي

وتقوم على علاقة التواجد أو التعايش التي تربط جوهرًا ما بتجلياته، أو بين الجماعة وأفرادها، كأن يقال عن طفل إنه عظيم لأن أباه فلان، وهذا قياس العرض على الجوهر (ينظر صولة، د.ت)، وأهم أشكالها:

- **الشخص وأعماله،** يعّد الإنسان في الحجاج ذا صفات معينة، منشئًا لأعمال وأحكام معينة، وهي التي تجلو جوهره وتفسره، وعلى ضوئها يكون تقويم الآخرين له (ينظر صولة، د.ت)، ولذلك كان تأبين المرثي وتخليده والتغني بمحامده هو مقصدية المحاج، أو الفكرة الأساس للخطاب، كما تبيّن في حجة القيم خصوصًا، وهو تأبين كفيل بأن يكشف عن جوهر المرثي، وأن يفسر سبب تخليد المحاجين له وتفجعهم على فقده، على أمل أن يحدث ذلك في المتلقي أثرًا وجدانيًا، ويجعله يقتنع بمضمون الخطاب، ومن ثم بقيمة المرثي الفريدة، ويتماهى مع المحاجين شعورًا ووجدانًا.
- **السلطة،** وهي التي تستخدم أعمال شخص وأحكامه حجة على صحة أطروحة ما، وتقوم على هيبة المتكلم ونفوذه لحمل المتلقي على تبني رأي أو سلوك ما (ينظر صولة، د.ت). وفي الخطابات الرثائية حضور قوي ومستمر لسلطة المحاج، كما أُشير في مبحث الإحالة، وهو الشاعر الذي له مقدرة خطابية إقناعية وتأثيرية في أن يرفع أحدًا أو أن يضعه (ابن رشيق، 1988)؛ فكيف إن كان الشاعر أخًا للمرثي؟! إذن فالمحاج من أعلم الناس بقيمة المرثي، ومن أكثرهم إحساسًا بلوعة الفقد، أضف إلى السلطة التي هي بذاتها حجة: أن المحاج كان مقصده محددًا ومساره الحجاجي مرسومًا، كما اتّضح في المعالجات السابقة.

3.3.الحجج المؤسسة لبنية الواقع

وهي تقنيات عقلية تظهر علاقات بين الأشياء كانت خفية، وتبني واقعًا جديدًا في الخطاب (ينظر مشبال، 2018). أهمها:

- **المثل،** وهو "استدلال ينطلق من حالة خاصة إلى حالة أخرى خاصة" (مشبال، 2018، ص. 80)، ويمكن أن يبنى على المثل قاعدة عامة يؤتى بها للبرهنة (ينظر صولة، د.ت). ومن المثل التشبيه البليغ والتمثيل، كما مرّ في التصوير. ومما لم يُشر إليه هناك قول الأعشى:

أخو رغائب يعطيها ويُسألها يأبى الظُلامةَ منه النّوفلُ الزّفر

فشبهه بالنوفل وهو البحر، بل إن البحر مشتق منه، فهو الأصل! جريًا على عادة العرب في ضربها المثل في الإكثار من العطاء بالبحر أو السيل أو الفرات (الآمدي، 1990)، وقد يؤاخذ الأعشى على قوله (ويُسألها)، مع أن العطاء بعد السؤال وقبله، عطاء محمود عند العرب، يمتدح به (ينظر الآمدي، 1990)، لكن الأجود "أن ينيلك ما تطلبه دون سؤال يخل بعرضك" (الشنتمري،2001، 2/ 912)، أيضًا يؤخذ على كعب لفظة (مرارًا) في قوله:

حليف الندى يدعو الندى فيجيبه مرارًا ويدعوه الندى فيجيب

صحيح أن العرب تجعل المرثي من مبلغ جوده أخًا أو حليفًا للندى (ينظر الآمدي، 1990)،كما فعل كعب في صدر البيت، إلا أن لفظة رديئة هنا: (مرارًا) توحي بأن المرثي يقطع عطاءه أحيانًا، وهنا وقف الجود دون مثاليته المطلقة التي تتحقق بأن يتابع الجوادُ العطاء، ويعطي حتى لا يجد من يعطيه (ينظر الآمدي، 1990). ومن ضرب المثل نوع آخر يأتي به المحاجون لإثبات فناء الأولين للاعتبار والتأسي، دون ذكر لمن كان مضرب المثل في الفناء بعد طول البقاء، كعاد وثمود وغيرها من الأمم البائدة، وهو نوع شائع في المراثي القديمة عمومًا (ابن رشيق، 1988)، ويكثر عند سعدى؛ ربما لأنها في حاجة إلى تكرار التعزّي قياسًا بحجم حزنها وتفجعها على المرثي، وتوافقًا مع طبيعة المرأة العاطفية، إذ "النساء أشجى الناس قلوبًا عند المصيبة، وأشدهم جزعًا على هالك، لما ركب الله عز وجل في طباعهن من الخور وضعف العزيمة" (ابن رشيق، 1988، 2/ 817). تقول في البيت (8):

أفليس فيمن قد مضى لي عبرة هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا

ويتكرر المؤدى في (5، 6، 7، 10). واكتفى كعب في سياق الاعتبار بذكر الموت ومفردات مقاربة له: أحداث، الخطوب، المنايا، دون تعريج على فناء الأولين والغابرين. أما الأعشى فأغفل ذلك كله، مكتفيًا بالإشارة إلى الموت في البيت (32).

- **النموذج والنموذج المضاد،** ومدار النموذج على كائن يصلح للحض على عمل ما اقتداء به ومحاكاة له (ينظر صولة، د.ت). وهي نوع من حجة السلطة، فالمحاج في الحجتين يستدعي شخصًا ذا حظوة لدى المتلقين لتثمين أفعاله، غير أن حجة القدوة ترى أن هذا الشخص يمثل قدوة أو أنموذجًا ينبغي أن يحتذى به (ينظر مشبال، 2018). ويسعى المحاجون إلى التأكيد على أن المرثيين قد حازوا القيم المعتبرة، واستوفوا المثالية في كل قيمة، كما رأينا في حجة القيم وغيرها، ومن ثم يمثلون الإنسان الأنموذج أو البطل في ذلك العصر. ويلحظ، زيادة على ما سبق، أن المحاجين ينسبون منظومة من القيم إلى المرثي في بيت واحد، وكأن ما ذكر في الخطاب من قيم تفصيل لهذا الإجمال وإعادة صياغة، والتفصيل والإعادة من مكونات المنطق الحجاجي(شارودو، 2021)، يقول الأعشى:

إن الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النّهي والغيَر

فالمرثي أصل للكرم والعقل والتدبير. ويقول كعب:

جموع خلال الخير من كل جانب إذا جاء جيّاء بهن ذهوب

وخلال الخير التي لا تحصى تأتي معه وتذهب! وتقول سعدى:

سبّاق عادية وهادي سرية ومقاتل بطل وداع مسقع

فهو يسبق الخيل المغيرة (ينظر ابن منظور، 1993، مادة *عدَا*)، ويهدي السرية التي تسري ليلًا في خفية لئلا يعلم بها العدو (ينظر ابن منظور، 1993، مادة *سَرا*)، وهو فارس لا يشق له غبار، ومسقع كذلك؛ أي خطيب لَسِن، وهي قيمة يتمدّح بها العرب (ينظر الشنتمري،2001)، وتقول أيضًا:

متحلب الكفين أميث بارع أنف طوال الساعدين سميدع

فهو كريم، أميث أي سهل لين، (ينظر ابن منظور، 1993، مادة *مَيث*)، ويأنف من الضيم ويأباه، (ينظر ابن منظور، 1993، مادة *أنِفَ*)، وطوال الأيادي في الخير للولي والشر للعدو، وتكفيك (سميدع) التي تستوعب محامد مختلفة، كما أُشير سابقًا (ينظر البحث، ص. 16). وبهذه الأوصاف التي تضاف إلى ما سبق من قيم، تكمل سعدى رسم النموذج تقريبًا، لولا أنها أغفلت قيمتي العفة والحلم، لذلك صرحت باستحقاقه للندب والعويل:

وأبيت مُخلية أُبكّي أسعدًا ولمثله تبكي العيون وتهمع

ومما يشكل النموذج عناصر التصوير التي سبق ذكرها (ينظر البحث، ص. 10)، وكذلك ألفاظ معبرة عن قوة الالتصاق أو التلازم بين المرثي والقيمة، فكأنها منسوبة إليه لاعتياده إيّاها، كلفظة (حليف) عند كعب: "حليف الندى"، و(أخو): "أخو شتوات"، وعند الأعشى "أخو رغائب". وهي ونحوها تعبيرات تتردد في الشعر القديم في سياق المدح بالجود (ينظر الآمدي، 1990). كذلك زاد الأعشى بتعبير: "أخو حروب"، وهو ونحوه دارج في الشعر للمدح بمنتهى الشجاعة والبأس (ينظر الآمدي، 1990). ويبلغ النموذج منتهاه في الجود لدى كعب في (18)، حين يصفه بأنه أريحيّ يهتز للندى، وفي (36، 37، 46)؛ حين يذكر أن الضيف بعد مصرع المرثي لم يجد من يقريه، والجائع الغريب لم يلق من يعينه وينجده، ولدى سعدى في (11)، فالفتية بعده وهم في المفازة لم يجدوا من يسعفهم بالزاد. وبهذا المبلغ سلك المحاجان المرثيين في مسلك من مسالك الجود المثالي: وهو انقطاع الرجاء والأمل من الطالبين للعطاء والبذل بعد المرثي (ينظر الآمدي، 1990)، لذلك صرح كعب بأن هؤلاء المعوزين يبكون لفقد المرثي:

ليبكك شيخ لم يجد من يعينه وطاوي الحشى نائي المزار غريب

تروّح تزهاه صبًا مستفيضة بكل ذرا، والمستراد جديب

وحقّ لهم ذلك، كما يرى ناقد في تعليقه على قول كعب هذا (ينظر ابن جعفر، 1978).

وكذلك سعدى في قولها:

فلتبك أسعد فتية بسباسب أقووا وأصبح زادهم يتمزع

بقي أن يشار إلى أمر يصل بالأنموذج إلى القمة، وهو تضحية المرثي بنفسه في سبيل مبادئه وقيمه. ومن صورها أن المرثي ضامر البطن مهفهف قليل اللحم، لا خلقة ولا من فاقة وفقر، إنما لإيثاره على نفسه بالقوت والقناعة باليسير

منه ليطعم الجوّع والمعوزين، خصوصًا أوقات الشتاء حيث الجدوب والفاقة والبخل بالمال، مكتفيًا بما يتعلل به ويقيم رمقه منه، نجد هذه الهيئة لدى كعب (11، 12)، والأعشى (20، 21، 25)، وسعدى (20، 27). وتتفرد سعدى بذكر تضحية المرثي بنفسه في المعركة: جاد ابن مجدعة الكميُّ بنفسه ولقد يرى أن المكرّ لأشنع

وهذه التضحية الغاية في الجود والشجاعة معًا، وهي من باب صبر المقتول على القتل واختياره إياه على الفرار، للذود عن الحمى والعرض، وأنفة من العار وقبيح الذكر، وبها يحوز المرثي الشرف والمجد والخلود (ينظر الآمدي، 1990). بل إن الشجعان يحرصون على الموت في الحرب، لما فيه من جميل الذكر، مع أنهم يعذرون في فرارهم إذا أُسلموا وضاقت بهم السبل (الشنتمري، 2001). وهكذا صيّر المحاجون المرثيين نماذج في السؤدد والمجد والشرف، وأنهم أحلى ما يكونون لأوليائهم وأمر شيء على أعدائهم، وذلك مرمى متداول في الشعر القديم (الشنتمري، 2001)؛ ولذا لا عجب أن يحزن المحاجون عليهم ويفجعوا، بل أكثر من ذلك:

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى على يومه عِلْق[60] إليّ حبيب

كما يقول كعب، أو فقدهم الأمان والراحة بعده، كما تقول سعدى:

مِن بعد أسعد إذ فُجعت بيومه والموتُ مما قد يَريب ويَفجع

وهناك النموذج المضاد أو القدوة المعكوسة (ينظر مشبال، 2018) الذي بواسطته "يكون الحض لا على الاقتداء بطبيعة الحال، وإنما على الانفصال عن الشخص الذي يمثل عكس النموذج" (صولة، د.ت، ص. 338). ونجد النموذج المضاد: البخيل والرديء منبثقًا من النموذج نفسه عند المحاجين، وكأنهم يعرّضون به ويلمحون إليه إلماحًا، فكعب يستعمل، مثلًا، النفي في قوله: وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقوله:

ترى عرَصَات الحي تمسي كأنها إذا غاب لم يحلل بهنّ غريب

ليقول إنه ليس هناك من يسد مسدّ المرثي في إجابة السائل وقِرى الأضياف والإسعاف بالقوت. وقد صرح الأعشى بالنموذج المضاد غير مرة: مرة ليعني به الآخرين، في قوله:

كأنه بعد صدق القوم أنفسهم باليأس يلمع من قدامه البُشرُ

فالمرثي حينما ييأس القوم في الملمات، يكون طليق الوجه باشًا مسرورًا، ويقول: إنه "مكساب إذا عدموا"، فيفوز بالغنيمة دوناً عن الآخرين. ومرة أخرى ليعني به الخائن الذي تسبب في مصرع المرثي:

أصبتَ في حرم منا أخا ثقة هندَ بن أسماء لا يهنِئ لك الظفر

ومرة ثالثة يقصد به قبيلة الخائن التي اشتركت في الإيقاع بالمرثي:

لو لم تخنه نفيلٌ وهي خائنة ألمّ بالقوم وردٌ منه أو صدر

وورد النموذج المضاد عند سعدى مرتين، مرة (الوعوع) وهو نعت قبيح، يعني الخائف الجبان (ينظر ابن منظور،1993، مادة *وَعَع*): ويكبّر القِدح العنود ويعتلى بأُلى الصحاب إذا أصاتَ الوعوع

ومرة تقصد به الخائن:

أجعلتَ أسعدَ للرماح دريئةً هبِلتكَ أمك أيّ جِرْدٍ ترقَع

ولم يكتفيا بالإشارة إلى الخائن، إنما هدداه وهوّنا أمره! وهذا التشنيع على النموذج المضاد منحى في الشعر الرثائي القديم، يرمي إلى تمجيد المقتول وتعظيمه وتهويل مقتله (ينظر الآمدي، 1990). وهكذا تمثّل النموذجان المتضادان في خطاب المحاجين، وهذا يؤكد أن النموذج والنموذج المضاد ركنان أساسيان من أركان الشعر العربي القديم، كما تقرّر الدريدي (2011).

4. الخاتمة

يتلخّص أهمّ ما يمكن تسجيله في أن الشعر ينطوي على رسالة يرمي المحاج إلى توصيلها إلى المتلقي، ويرصد لها حججًا متعددة مقنعة، وأساليب جمالية ترسخ تلك الحجج وجدانيًا وعقليًا، وبناء على ذلك فإنه يمكن تطبيق منهج الحجاج على الشعر عمومًا، ومنه الرثائي.

وكذلك أن الأسلوب يسهم في نفاذ حجج الخطاب وإحداث تأثير وجداني في المتلقي، ولا يمكن تجاهله في التحليل الحجاجي. بل إن فعالية الحجاج ظهرت، كما رأينا، في اختيارات أسلوبية وبلاغية، ورأينا كيف استثمر المحاجون عناصر الأسلوب ولوّنوا فيه، على تفاوت بينهم؛ لإبراز جوانب الرثاء: الندب والتفجّع والتأبين.

وتبيّن أن المحاجين يشتركون في كثير من الحجج الموضوعية، غير أنهم يتفاوتون في مدى استحضارها واستثمارها، مع أنهم يسعون إلى تشكيل الأنموذج المثالي للمرثي. ومع ذلك التفاوت يمكن أن يقال إجمالًا: إن الخطابات نجحت إلى حد كبير في عرض حججها وإقناع القارئ بحيازة المرثيين على قدر عالٍ من السيادة والمجد والشرف، وكأنها تعدّ تلك الحيازة أمرًا واقعًا لا شك فيه ولا سبيل إلى دحضه، وهو نجاح يدل على أن الطاقة الحجاجية في الخطابات الرثائية كانت قوية؛ لأنها إنما تنبثق من معاناة إنسانية صادقة، تلوّنت بالحزن والتحسُّر والتفجُّع، مع التلهُّف والأسف والاستعظام لفراق المرثي، وتنطلق من غاية واضحة وهي تخليد المرثي، ومن سعي حثيث في تبليغ المضمون القيمي للخطاب إلى الجمهور لإقناعه بفحواه واستدرار عواطفه ليشارك المحاجين المكلومين فاجعة الفقد وتداعياته المريرة. وبهذا المسلك نهض الفقدان مفهومًا محوريًا، تدور حوله حالتان متضادتان: حالة ما قبل الفقدان وحالة ما بعده؛ ليبدد أي احتمال لجهل الجمهور بقيمة الفقيد، ولتستقر في قلبه أن القيم قُبرت مع المرثي، وليس فقط ليتوهُّم ذلك، كما تقول الدريدي، إذ لا ريب أن الجمهور مُني بخسارة فادحة لبطل أو أنموذج يعزّ تعويضه، فكان من الطبيعي أن

تتحول المصيبة الخاصة التي وقعت على المحاج إلى مصيبة تطال عامة الناس، بدءًا من قبيلة المرثي وانتهاء بالغرباء والمعوزين الذين ينشدون نجدة المرثي وعطاءه وحمايته.

وأخيرًا، لا يزعم البحث أنه تقصى مظاهر الحجاج الأسلوبية وأدواته الموضوعية كلها في هذه الخطابات الرثائية المختارة، ويكفينا منها ما يُظن أنه قد حقق أهدافه إلى حد مقنع. وفي نهاية المطاف يوصي البحث باستثمار المنهج الحجاجي في تحليل النصوص الشعرية القديمة، بخاصة تلك التي تتضمن حججًا يهدف المحاج إلى إثباتها والتدليل عليها، بزخم عاطفي صادق وهّاج، كالمراثي والمدائح الصادقة.

الهوامش

(1) سيعتمد البحث في رواية الرثائيات على الأصمعي (ت.216هـ، ط. د.ت). ورُويت رثائيتا أعشى باهلة وكعب في القرشي (ت.ق.3 هـ، ط.د.ت)، ووردت أبيات عدة من رثائية الأعشى، ورثائية كعب في الجمحي (ت. 231هـ، ط. د. ت).

(2) عامر بن الحارث، شاعر جاهلي، يرثي أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي الذي قبضت عليه قبيلة بني كعب بن الحارث وقتلته، وقد دلت عليه قبيلة بني نفيل بن عمرو (ينظر الأصمعي، د.ت).

(3) كعب بن سعد الغنوي: شاعر جاهلي، يقال له (كعب الأمثال) لكثرة ما في شعره من الأمثال، يرثي أخاه أبا المغوار (ينظر الأصمعي، د.ت).

(4) سعدى بنت الشمردل الجهنية، شاعرة جاهلية، ترثي أخاها لأمها أسعد بن مجدعة الهذلي، قتلته بَهْز من بني سليم بن منصور. (ينظر الأصمعي، د.ت).

(5) "الأين: الإعياء والتعب"،(مادة *أين*)، و"الوصب: الوجع والمرض"، (مادة *وصب*). وشرح الألفاظ التي سترد تباعًا من ابن منظور (1993)، ما لم يُنصّ على غيره، لذلك سيُكتفى بذكر المادة في الهوامش دون ذكر مصدرها.

(6) "الصفر فيما تزعم العرب: حية في البطن تعض الإنسان إذا جاع"، (مادة *صفر*).

(7) "أرت القدر إذا احترقت ولصق بها الشيء"، (مادة *أري*).

(8) "العزّاء: الشدة"، (مادة *عزز*)، و"الصلت: البارز المستوي"، (مادة *صلت*).

(9) "المرجل: هي كل ما طبخ فيها من قدر وغيرها"، (مادة *رجل*).

(10) "حجنه عن الشيء: صده وصرفه"، (مادة *حجن*).

(11) " الجبان"، (مادة *ورع*).

(12) "الموضع المشرف"، (مادة *رقب*).

(13) "الميسر: اللعب بالقداح"، (مادة *يسر*). وكانوا يتقامرون بضرب القداح على الجُزُر لقسمتها على المحتاجين في الجدب.

(14) "لحيت الرجل: إذا لمته وعذلته"، (مادة *لحا*).

(15) "الهجوع: النوم ليلًا"، (مادة *هجع*).

(16) "الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن"، (مادة *درأ*).

(17) "الجرد: الخَلَق من الثياب"، (مادة *جرد*).

(18) "أرمل القوم: إذا ذهب زادهم"، (مادة *رمل*)، "جزر الناقة: نحرها وقطعها"، (مادة *جزر*).

(19) "واخروّط بهم الطريق والسفر: امتد"، (مادة *خرط*).

(20) "السبسب الأرض القفر البعيدة"، (مادة *سبسب*).

(21) "لا تبعد أي لا تهلك تستعمل لمن هلك فساء هلاكه، وشق على من يفقده فقده"، (الشنتمري، 2001 ، 1/ 182).

(22) "دعاء عليهم في معنى التعجب ويراد بالأم أم الدماغ، وهي الجلدة المحيطة به"، (الشنتمري، 2001، 1/ 571- 572).

(23) "دعاء في معنى التعجب(...) وأرادوا ويل أمه، فكثرت في الاستعمال، فحذفوا الهمزة لثقلها، وأتبعوا اللام الميم"، (الشنتمري، 2001، 2/ 652).

(24) يكفي أن نعلم أن الألفاظ هنا (قيم) أو غير ذلك (أحوال وصفات)، وستتبين دلالاتها لاحقًا في سياقات مناسبة.

(25) "غاب وبعُد"، (مادة عزب).

(26) "الجحر: كل شيء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها"، (مادة جحر)، "الحجرة: التي يبنيها الناس، وهو ما حوّطوا عليه"، (مادة حجر).

(27) "البحر"، (مادة *نفل*)، "والزفر السيد"، (مادة *زفر*).

(28) "العسل الأبيض"، (مادة *مذي*).

(29) "ردينة: اسم امرأة، والرماح الردينية منسوبة إليها"، (مادة *ردن*).

(31) "طلاقة الوجه وبشاشته"، (مادة *بشر*).

(32) "الظلمة"، (مادة *طخا*).

(33) "النصلان: النصل والزج"، (مادة *نصل*)، والنصل رأس الرمح، والزج أصله.

(34) "العجم: عض شديد بالأضراس دون الثنايا"، (مادة *عجم*).

(35) "التجليح: السير الشديد(...) جلّح علينا أي أتى علينا"، (مادة *جلح*).

(36) "والصدع: الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما"، (مادة *صدع*).

(37) "الحلب: استخراج ما في الضرع من اللبن"، (مادة *حلب*).

(38) الداوية : الفلاة. (مادة *دوا*).

(39) "احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته: يقال: حل حِبوته وحُبوته"، (مادة *حبا*).

(40) "بزل البعير فطر نابه أي انشق، فهو بازل وذلك في السنة التاسعة"،(مادة *بزل*)."ناقة كوماء: عظيمة السنام طويلته"، (مادة *كوم*).

(41) والقدح "هو السهم الذي كانوا يستقسمون به أو الذي يرمى به عن القوس"، قدح، "وقدح عنود": هو الذي يخرج فائزًا على غير جهة سائر القداح"، (مادة *عند*).

(42) "هفهف الرجل: إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد ملاحة"، "وامرأة مهفهفة: أي ضامر البطن"، (مادة *هفف*). "الهضم: خمص البطون ولطف الكشح"، (مادة *هضم*)، "الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف"، (مادة *كشح*).

(43) "النسل: الإسراع في المشي"، (مادة *نسل*).

(44) "الزعزعة تحريك الشيء"، (مادة *زعع*).

(45) "الطلح الإعياء والسقوط من السفر"، (مادة *طلح*).

(46) قد تكون زوجته أو رمزًا للحكمة. وعن دلالة أسماء المرأة في الشعر الرثائي (ينظر الشورى، 1983).

(47) "الشول التي نقص لبنها ولم يبق في ضرعها إلا بقية"، (مادة *شول*).

(48) "المراح الذي تبيت فيه"، (مادة *بوأ*).

(49) "الشحم"، (مادة *نوي*).

(50) "النفحة: ما أصابك من دُفعة البرد"، (مادة *نفح*).

(51) "الجرة: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه"، (مادة *جرر*).

(52) والإقواء نفاد الزاد وتمزعه وتقطعه وتفرقه، مع القلة والفقر. (مادة *قوا*، ومادة *مزع*).

(53) "وحاردت الإبل حرادًا إذا انقطعت ألبانها أو قلت"، (مادة حرد)، والرسل: اللبن، (مادة *رسل*).

(54) يقول ابن منظور (1993) في شرح مفردات البيت: "حضيرة يحضرها الناس (...) ونفيضة ليس عليها أحد (...) التبع: الظل، واسمأل: قصر، وذلك عند نصف النهار". (مادة حَضَر).

(55) "الفلذة: القطعة من اللحم"، (مادة *فلذ*).

(56) "الغُمَر: أصغر الأقداح"، (مادة غمر).

(57) "قفر الأثر: اقتفاه وتتبعه"، (مادة *قفر*).

(58) "الصقع البلاغة في الكلام والوقوع على المعاني"، (مادة *صقع*).

(59) وهو "الذي يعجبك حسنه"، (مادة *روع*).

(60) "النفيس من كل شيء"، (مادة *علق*).

مراجع البحث

الآمدي، أبو القاسم. (ت 370هـ. ط. 1959). *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*. (ط 4) (السيد أحمد صقر، تحقيق.). دار المعارف، القاهرة.

الآمدي، أبو القاسم. (ت 370هـ. ط 1990). *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*. (جزء3)، (ط1) (عبد الله حمد محارب، دراسة وتحقيق.). مكتبة الخانجي، القاهرة.

الأصمعي، عبد الملك. (ت 216هـ. ط. د.ت). *الأصمعيات*، (ط5) (أحمد شاكر وعبد السلام هارون، تحقيق.). ط5 . دار المعارف، القاهرة.

الأمين، محمد. (2000). مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. *مجلة عالم الفكر*، الكويت، 28، (3)، 53 -94.

آيزر، فولفجانج. (2000). *فعل القراءة: نظرية في الاستجابة الجمالية*. (ط1) (عبد الوهاب علوب، ترجمة). المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

الجرجاني، عبد القاهر. (ت 471هـ. ط.د.ت). *أسرار البلاغة في علم البيان*، (د ط) (محمد رشيد رضا، تصحيح.). دار المعرفة، بيروت.

الجرجاني، عبد القاهر. (ت 471هـ. ط. 1992). *دلائل الإعجاز*. (ط3) (محمود محمد شاكر، تحقيق.). دار المدني، جدة.

ابن جعفر، قدامة. (ت 337هـ. ط.1978). *نقد الشعر*. (ط3) (كمال مصطفى، تحقيق.). مكتبة الخانجي، القاهرة.

الجمحي، ابن سلام. (ت 231هـ. ط. د. ت). *طبقات فحول الشعراء*. (د ط) (محمود شاكر، شرح.). دار المعارف، القاهرة.

حسن، عباس. (د. ت). *النحو الوافي*. (ط3) . دار المعارف، مصر.

الدريدي، سامية. (2011). *الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه*. (ط2). عالم الكتب الحديث، الأردن.

الدهري، أمينة. (2011). *الحجاج وبناء الخطاب*. (ط1) . المدارس، الدار البيضاء.

ابن رشيق، أبو علي الحسن. (ت 456هـ. ط. 1988)، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، (ط1)(محمد قرقزان، تحقيق.). دار المعرفة، بيروت.

الرقبي، رضوان. (2011). الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، *مجلة عالم الفكر*، الكويت، 40، (2)،67– 118.

الزناد، الأزهر. (1993). *نسيج النص*. (د ط). المركز الثقافي العربي، بيروت.

شارودو، باتريك. (2021). *الحجاج بين النظرية والأسلوب*. (ط 2) (أحمد الودرني، ترجمة.). دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي.

الشنتمري، الأعلم. (ت 476هـ. ط. 2001). *شرح حماسة أبي تمام*. (ط2) (علي المفضل حمودان، تحقيق.). دار الفكر، دمشق.

الشورى، مصطفى. (1983). *شعر الرثاء في العصر الجاهلي*. (د ط). الدار الجامعية، بيروت.

صولة، عبدالله. (2007). *الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. (ط2). دار الفارابي، بيروت، تونس.

صولة، عبد الله. (د.ت). الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال – مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة، لبرلمان وتيتيكان، في حمادي صمود (محرر.)، *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. (ص 297– 350) جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،كلية الآداب منوبة، تونس.

ضيف، شوقي. (د. ت). *العصر الجاهلي*. (ط11). دار المعارف، القاهرة.

الطلبة، محمد. (2008). *الحجاج في البلاغة المعاصرة*. (ط1). الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

العزاوي، أبو بكر. (1992). الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري. *مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية*، المغرب، (7)، 98 – 116.

العسكري، أبو هلال.(ت 395هـ. ط. 1986). *كتاب الصناعتين*. (ط1) (علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، تحقيق.). دار المكتبة العصري، بيروت.

العسكري، أبو هلال.(ت 395هـ. ط.2008). *ديوان المعاني*.(ط1)(النّبوي عبد الواحد شعلان، تحقيق.). مؤسسة العلياء، القاهرة.

عبد النور، جبور. (1984). *المعجم الأدبي*. (ط 2). دار العلم للملايين، بيروت.

عيد، محمد. (2013). *في حجاج النص الشعري*. (د ط). إفريقيا الشرق، المغرب.

القرشي، أبو زيد، (ت.ق3هـ.ط. د.ت). *جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام*. (د ط) (علي البجاوي، تحقيق.). نهضة مصر، مصر.

المبرد، أبو العباس، (ت 285هـ. ط.1997). *الكامل في اللغة والأدب*. (ط1) (حنا الفاخوري، تحقيق.). دار الجيل، بيروت.

مشبال، محمد، (2018). *في بلاغة الحجاج*. (ط 1). كنوز المعرفة، عمّان.

المطيري، أسماء، (2022)، *المقدمات الحجاجية، تقنيات الخطاب وأنواع الحجج*، (ط1). ملامح، الشارقة.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (ت. 711 هـ. ط.1993). *لسان العرب المحيط*. (د ط) (يوسف خيّاط ونديم مرعشلي، إعداد وتصنيف.). دراسات لسان العرب، بيروت.

يوسف، عبد الفتاح، (2014). *الخطاب السجالي في الشعر العربي*. (ط1). دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

Abd al-Nūr, Jabbūr. (1984). al-Mu‘jam al-Adabī. (ṭ2). Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Bayrūt.

Abn Rashīq, Abū ‘Alī al-Ḥasan. (t 456h. Ṭ. 1988), al-‘Umdah fī Maḥāsin al-shi‘r wa-ādābuh, (Ṭ1) (Muḥammad Qarqazān, taḥqīq.). Dār al- Ma‘rifah, Bayrūt.

Abn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. (t. 711h. Ṭ. 1993). Lisān al-‘Arab almuḥyṭ. (D Ṭ) (Yūsuf khyyāṭ wndym Mar‘ashlī, i‘dād wa-taṣnīf.). Dirāsāt Lisān al-‘Arab, Bayrūt.

Al-Āmidī, Abū al-Qāsim. (t 370h. Ṭ. 1959). al-Muwāzanah bayna shi‘r Abī Tammām wa-al-Buḥturī. (Ṭ 4) (al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr, taḥqīq.). Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhirah.

Al-Āmidī, Abū al-Qāsim. (t 370h. Ṭ 1990). al-Muwāzanah bayna shi‘r Abī Tammām wa-al-Buḥturī. (jz’3), (Ṭ1) (‘Abd Allāh Ḥamad Muḥārib, dirāsah wa-taḥqīq.). Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah.

Aldrydy, Sāmiyah. (2011). al-Ḥajjāj fī al-shi‘r al-‘Arabī, binyatuhu wa-asālībuh. (ṭ2). ‘Ālam al-Kutub al-ḥadīth, al-Urdun.

Aldhry, Amīnah. (2011). al-Ḥajjāj wa-binā’ al-khiṭāb. (Ṭ1). al-Madāris, al-Dār al-Bayḍā’.

Aljrjāny, ʻAbd al-Qāhir. (t 471h. Ṭ. D. t). Asrār al-balāghah fī ʻilm al-Bayān, (D Ṭ) (Muḥammad Rashīd Riḍā, taṣḥīḥ.). Dār al-Maʻrifah, Bayrūt.
Aljrjāny, ʻAbd al-Qāhir. (t 471h. Ṭ. 1992). Dalāʼil al-iʻjāz. (ṭ3) (Maḥmūd Muḥammad Shākir, taḥqīq.). Dār al-madanī, Jiddah.
Aljmḥy, Ibn Sallām. (t 231h. Ṭ. D. t). Ṭabaqāt fuḥūl al-shuʻarāʼ. (D Ṭ) (Maḥmūd Shākir, sharḥ.). Dār al-Maʻārif, al-Qāhirah.
Almbrd, Abū al-ʻAbbās, (t 285h. Ṭ. 1997). al-kāmil fī al-lughah wa-al-adab. (Ṭ1) (Ḥannā al-Fākhūrī, taḥqīq.). Dār al-Jīl, Bayrūt .
Almṭyry, Asmāʼ, (2022), al-muqaddimāt al-ḥijājīyah, Tiqniyāt al-khiṭāb wa-anwāʻ al-ḥujaj, (Ṭ1). Malāmiḥ, al-Shāriqah.
Alʼmyn, Muḥammad. (2000). Mafhūm al-Ḥajjāj ʻinda byrlmān wa-taṭawwuruh fī al-balāghah al-muʻāṣirah. Majallat ʻĀlam al-Fikr, al-Kuwayt, 28, (3), 94-53.
Alqrshy, Abū Zayd, (t. q3h. Ṭ. D. t). Jamharat ashʻār al-ʻArab fī al-Jāhilīyah wa-al-Islām. (D Ṭ) (ʻAlī al-Bajāwī, taḥqīq.). Nahḍat Miṣr, Miṣr.
Alrqby, Raḍwān. (2011). al-istidlāl al-Ḥajjājī altdāwly wa-ālīyāt ashtghālh, Majallat ʻĀlam al-Fikr, al-Kuwayt, 40, (2), 67 – 118.
Alʼṣmʻy, ʻAbd al-Malik. (t 216h. Ṭ. D. t). al-Aṣmaʻīyāt, (ṭ5) (Aḥmad Shākir wa-ʻAbd al-Salām Hārūn, taḥqīq.). ṭ5. Dār al-Maʻārif, al-Qāhirah.
Alshntmry, al-Aʻlam. (t 476h. Ṭ. 2001). sharḥ Ḥamāsah Abī Tammām. (ṭ2) (ʻAlī al-Mufaḍḍal ḥmwdān, taḥqīq.). Dār al-Fikr, Dimashq.
Alshwrá, Muṣṭafá. (1983). shiʻr al-rithāʼ fī al-ʻaṣr al-Jāhilī. (D Ṭ). al-Dār al-Jāmiʻīyah, Bayrūt.
Alʻskry, Abū Hilāl. (t 395h. Ṭ. 1986). Kitāb al-ṣināʻatayn. (Ṭ1) (ʻAlī Muḥammad al-Bajāwī wa-Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, taḥqīq.). Dār al-Maktabah al-ʻaṣrī, Bayrūt.
Alʻskry, Abū Hilāl. (t 395h. Ṭ. 2008). Dīwān al-maʻānī. (Ṭ1) (alnnbwy ʻAbd al-Wāḥid Shaʻlān, taḥqīq.). Muʼassasat al-ʻAlyāʼ, al-Qāhirah.
Alṭlbh, Muḥammad. (2008). al-Ḥajjāj fī al-balāghah al-muʻāṣirah. (Ṭ1). al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, Bayrūt.
Alʻzāwy, Abū Bakr. (1992). al-Ḥajjāj wa-al-shiʻr, Naḥwa taḥlīl Ḥajjājī li-naṣṣ shiʻrī. Majallat Dirāsāt sīmiyāʼīyah adabīyah lisānīyah, al-Maghrib, (7), 98 – 116.
Alznād, al-Azhar. (1993). Nasīj al-naṣṣ. (D Ṭ). al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, Bayrūt.
Ayzr, fwlfjānj. (2000). fiʻl al-qirāʼah : Naẓarīyat fī al-istijābah al-Jamālīyah. (Ṭ (1 (ʻAbd al-Wahhāb ʻlwb, tarjamat.). al-Majlis al-Aʻlá lil-Thaqāfah, Miṣr.
Dyf, Shawqī. (D. t). al-ʻaṣr al-Jāhilī. (ṭ11). Dār al-Maʻārif, al-Qāhirah.
Hsn, ʻAbbās. (D. t). al-naḥw al-Wāfī. (ṭ3). Dār al-Maʻārif, Miṣr.
Ibn Jaʻfar, Qudāmah. (t 337h. Ṭ. 1978). Naqd al-shiʻr. (ṭ3) (Kamāl Muṣṭafá, taḥqīq.). Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah.
Mshbāl, Muḥammad, (2018). fī Balāghat al-Ḥajjāj. (Ṭ1). Kunūz al-Maʻrifah, ʻAmmān.
Shārwdw, bātryk. (2021). al-Ḥajjāj bayna al-naẓarīyah wa-aluslūb. (Ṭ 2) (Aḥmad al-Wadarnī, tarjamat.). Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, Banghāzī
Swlh, ʻAbd Allāh. (2007). al-Ḥajjāj fī al-Qurʼān min khilāl ahamm khaṣāʼiṣuhu al-uslūbīyah. (ṭ2). Dār al-Fārābī, Bayrūt, Tūnis.

Swlh, ʻAbd Allāh. (D, t). al-Ḥajjāj : aṭrh wa-munṭalaqātuhu wa-taqniyātuh min khilāl-Muṣannaf fī alḥjāj-al-khaṭābah al-Jadīdah, lbrlmān wtytykān, fī Ḥammādī Ṣammūd (muḥarrir.), ahamm naẓarīyāt al-Ḥajjāj fī al-taqālīd al-Gharbīyah min Arisṭū ilá al-yawm. (Ṣ Ṣ 297-350) Jāmiʻat al-Ādāb wa-al-Funūn wa-al-ʻUlūm al-Insānīyah, Kullīyat al-Ādāb. Manūbah, Tūnis.

Yd, Muḥammad. (2013). fī Ḥajjāj al-naṣṣ al-shiʻrī. (D Ṭ). Ifrīqiyā al-Sharq, al-Maghrib.

Ywsf, ʻAbd al-Fattāḥ, (2014). al-khiṭāb al-sijālī fī al-shiʻr al-ʻArabī. (Ṭ1). Dār al-Kitāb al-jadīd al-Muttaḥidah, Bayrūt.

معلومات عن الباحث

د. فهد بن مناحي السيحاني، أستاذ مشارك في (الأدب والنقد) في (قسم اللغة العربية) (بكلية العلوم والدراسات الإنسانية) في جامعة شقراء (المملكة العربية السعودية). حاصل على درجة الدكتوراه في الأدب والنقد من جامعة الملك سعود عام 2015. تدور اهتماماته البحثية حول دراسة الأدب العربي ونقده في ضوء النظريات النقدية الأدبية وتوظيفها في الأدب. العربي قديمًا وحديثًا.

Biographical Statement

Dr. Fahad Manahi Al-Sihani is an associate Professor of Literature and Criticism in the Department of Arabic Language, College of Science and Humanities at Shaqra University, (KSA). Dr. Al-Sihani received his PhD degree in 2015 from King Saud University. His research interests include the study of Arabic literature and its criticism in light of literary critical theories and their use in ancient and modern Arabic literature.

Email: fmanahe@su.edu.sa

الملاحق

مرثية أعشى باهلة

1	قد جاء من علِ أنباءٌ أُنبّؤُها	إليّ لا عجب منها ولا سخرُ
2	فظلت مرتفقًا للنجم أرقبه	حرّان مكتئبًا لو ينفع الحذر
3	وجاشت النفس لما جاء جمعهمُ	وراكب جاء من تثليث مُعتمر
4	يأتي على الناس لا يلوي على أحد	حتى التقينا وكانت دوننا مضر
5	إنّ الذي جئت من تثليث تندبه	منه السماح ومنه النَّهيُ والغيَر
6	نعيت من لا تغبّ الحيَّ جفنته	إذا الكواكب أخطا نوءها المطر
7	وراحت الشّول مغبرًّا مَباءتُها	شعثًا تغيّر منها النّيُّ والوبَر
8	وأجحَرَ الكلب موضوعُ الصقيع به	وألجأ الحيَّ من تنفاحه الحُجَر
9	عليه أول زاد القوم إن نزلوا	ثم المطيَّ إذا ما أرملوا جزروا
10	لا تأمن البازلُ الكوماءُ ضربته	بالمشرفيّ إذا ما أخروّط السّفَر
11	وتفزع الشّولُ منه حين يفجؤها	حتى تقطّع في أعناقها الجِرر
12	لم تر أرض ولم يسمع بها أحد	إلا بها من نوادي وقعه أثر
13	وليس فيه إذا استنظرته عجل	وليس فيه إذا ياسرته عسر
14	إما يصيبك عدوّ في مناوأة	يومًا فقد كنت تستعلي وتنتصر
15	من ليس في خيره شرّ يكدره	على الصديق ولا في صفوه كدر
16	أخو حروب ومكساب إذا عدموا	وفي المحافل منه الجدّ والحذر
17	أخو رغائب يعطيها ويُسألها	يأبى الظُلامةَ منه النّوفلُ الزّفر
18	لا يغمز الساق من أيْنٍ ولا وصَب	ولا يعضّ على شُرْسوفه الصّفَر
19	لا يتأرّى لما في القدر يرقبُهُ	ولا يزال أمام القوم يقْتَفر
20	طاوي المصير على العزّاء مُنصلت	بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
21	مهفهف أهضم الكشحين مُنخرق	عنه القميص لسير الليل محتقر
22	لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه	وكلَّ أمر سوى الفحشاء يأتمر

23	لا يهتك الستر عن أنثى يطالعها	ولا يشدّ إلى جاراته النظر
24	لا يأمن الناس ممساه ومصبحه	من كل فجّ إذا لم يغز ينتظر
25	تكفيه حُزّة فُلـذٍ إن ألمّ بها	من الشواء ويُروي شربه الغُمر
26	كأنه بعد صدق القوم أنفسهم	باليأس يلمع من قُدّامه البُشُر
27	لا يُعجل القوم أن تغلي مراجلُهم	ويُدلج الليل حتى يَفسح البصر
28	عشــنا بذلك دهرًا ثم فارقنا	كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
29	فإن جزعنا فقد هدّت مصيبتنا	وإن صبرنا فإنا معشر صُبُر
30	إني أشد حزيمي ثم يدركني	منك البلاء ومن آلآئك الذّكَـر
31	أصبت في حرم منا أخا ثقةٍ	هند بن أسماء لا يهنِئ لك الظفر
32	إما سلكت سبيلًا كنت سالكها	فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
33	لو لم تخنه نُفيل وهي خائنة	ألمّ بالقوم منه وردٌ منه أو صدر
34	ورّاد حربٍ شهابٌ يستضاء به	كما يضيء سواد الطِّخية القمر

مرثية كعب بن سعد الغنوي

1	تقول سُليمى ما لجسمك شاحبًا	كأنّك يحميك الشراب طبيبُ
2	فقلت ولم أعيَ الجواب ولم أُلِحْ	وللدهر في صُم السِّلام نصيب
3	تتابع أحداث تخرمّن إخوتي	وشيبن رأسي والخطوب تُشيب
4	أتى دون حلو العيش حتى أمرّه	نكوب على آثارهنّ نكوب
5	لعمري لئن كانت أصابت مصيبة	أخي والمنايا للرجال شعوب
6	لقد كان أمّا حلمه فمروّحٌ	علينا وأمّـا جهله فعزيب
7	أخي كان يكفيني وكان يعينني	على نائبات الدهر حين تنوب
8	لقد عجمت مني المصيبة ماجدًا	عروفًا لريب الدهر حين يريب
9	هوت أمُّه ماذا تضمّن قبره	من الجود والمعروف حين ينوب
10	جموع خلال الخير من كل جانب	إذا جاء جيّاء بهن ذهوب
11	مفيد مُلقّى القائدات معوّد	لفعل الندى للمعدمات كسوب
12	فتى لا يبالي أن يكون بجسمه	إذا نال خلاّت الكرام شحوب

13	غنينا بخير حقبة ثم جلّحت	علينا التي كل الرجال تصيب
14	فأبقت قليلًا ذاهبًا وتجهزت	لآخر والراجي الحياة كذوب
15	وأعلم أن الباقي الحيّ منهما	إلى أجل أقصى مداه قريب
16	فلو كان ميتٌ يُفتدى لفديته	بما لم تكن عنه النفوس تطيب
17	بعينيّ أو يمنى يديّ وقيل لي	هو الغانم الجذلان حين يؤوب
18	فإن تكن الأيام أحسن مرة	إليّ فقد عادت لهنّ ذُنُوب
19	كثير رماد القدر رحب فناؤه	إلى سند لم تحتجنه غُيُوب
20	قريب ثراه لا ينال عدوه	له نبطًا عند الهوان قطوب
21	لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى	على يومه عِلق إليّ حبيب
22	حليم إذا ما الحلم زيّن أهله	مع الحلم في عين العدو مهيب
23	إذا ما تراءاه الرجال تحفّظوا	فلم تنطق العوراء وهو قريب
24	أخي ما أخي لا فاحش عند بيته	ولا وَرَع عند اللقاء هيوب
25	هو العسل الماذيّ حلمًا ونائلًا	وليث إذا يلقى العدو غضوب
26	حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت	حُبى الشيب للنفس اللجوج غلوب
27	هوت أمّه ما يبعث الصبح غاديًا	وماذا يؤدّي الليل حين يؤوب
28	كعاليه الرمح الرديني لم يكن	إذا ابتدر الخيلَ الرجالُ يخيب
29	حليف الندى يدعو الندى فيجيبه	مرارًا ويدعوه الندى فيجيب
30	أخو شتوات يعلم الضيف أنه	سيكثر ما في قدره ويطيب
31	ترى عرَصَات الحي تمسي كأنها	إذا غاب لم يحلل بهنّ غريب
32	إذا حلّ لم يُقصِ المحلة بيته	ولكنه الأدنى بحيث تنوب
33	حبيب إلى الخلان غشيان بيته	جميل المحيّا شبّ وهو أديب
34	يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه	إذا لم يكن في المنقيات حلوب
35	إذا نزل الأضياف أو غبت عنهمُ	كفى ذاك وضاح الجبين أريب
36	وداع دعا: يا من يجيب إلى الندى	فلم يستجبه عند ذاك مجيب
37	فقلت ادع أخرى وارفع الصوت	دعوة لعل أبا المغوار منك قريب
38	يجبك كما قد كان يفعل إنه	بأمثالها رحب الذراع أريب

39	كأن أبا المغوار لم يوف مرقبًا	إذا ربأ القوم الغزاة رقيب
40	ولم يدع فتيانًا كرامًا لميسر	إذا اشتد من ريح الشتاء هبوب
41	فإني لباكيه وإني لصادق	عليه وبعض الباكيات كذوب
42	فتى أريحيًّا كان يهتز للندى	كما اهتزّ من ماء الحديد قضيب
43	وحدثتماني أنما الموت في القرى	فكيف وهاتا هضبة وقليب
44	وماء سماء كان غير مخمّر	ببريّة تجري عليه جنوب
45	ومنزلة في دار صدق وغبطة	وما اقتالَ من حُكمٍ عليّ طبيب
46	ليبكك داع لم يجد من يعينه	وطاوي الحشا نائي المزار غريب
47	تروّح تزهاه صبًا مُستطيفةٌ	بكل ذرا والمستراد جديب

مرثية سعدى بنت الشمردل الجهنية

1	أمن الحوادث والمنون أُروّع	وأبيت ليلي كله لا أهجعُ
2	وأبيت مُخلية أُبكّي أسعدًا	ولمثله تبكي العيون وتهمع
3	وتبيّنُ العين الطليحةُ أنها	تبكي من الجزع الدّخيل وتدمع
4	ولقد بدا لي فيما قد مضى	وعلمت ذاك لو أن علمًا ينفع
5	أن الحوادث والمنون كليهما	لا يعتبان ولو بكى من يجزع
6	ولقد علمت بأن كلّ مؤخرٍ	يومًا سبيل الأولين سيتبع
7	ولقد علمت لو أنّ علمًا نافع	أنْ كلُ حي ذاهب فمُودّع
8	أفليس فيمن قد مضى لي عبرة	هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا
9	ويلُمِّ قتلى بالرِّصاف لو أنهم	بلغوا الرجاء لقومهم أو مُتّعوا
10	كم من جميع الشمل ملتئم الهوى	كانوا كذلك قبلهم فتصدّعوا
11	فلتبكِ أسعدَ فتيةٌ بسباسب	أَقْووا وأصبح زادهم يُتمزَّع
12	جاد ابن مَجدَعة الكميُّ بنفسه	ولقد يرى أن المكرّ لأشنع
13	ويلُمِّه رجلًا يُليذ بظهره	إبلًا، ونسّال الفيافي أروع
14	يرد المياه حضيرةً ونفيضةً	ورد القطاة إذا اسمأل التُّبّع
15	وبه إلى أخرى الصحاب تلفُّتٌ	وبه إلى المكروب جرْي زَعزَع

16	ويُكبّر القِدح العنود ويعتلي	بأُلى الصحاب إذا أصات الوَعوع
17	سبّاق عادية وهادي سرية	ومقاتل بطل وداع مِسقع
18	ذهبت به بَهْزٌ فأصبح جَدّها	يعلو وأصبح جدّ قومي يخشع
19	أجعلت أسعد للرماح دريئةً	هَبِلَتْك أمك أيَّ جَرْد ترقع
20	يا مطعم الركب الجياع إذا همُ	حثّوا المطيَّ إلى العلى وتسرّعوا
21	وتجاهدوا سيرًا فبعض مطيّهم	حسرى مُخلّفة وبعضٌ ظُلّع
22	جوّاب أودية بغير صحابة	كشّاف داويّ الظلام مُشيّع
23	هذا على إثر الذي هو قبله	وهي المنايا والسبيل المهيَع
24	هذا اليقين فكيف أنسى فقده	إن راب دهر أو نبا بيَ مضجع
25	إن تأته بعد الهُدوّ لحاجة	تدعو، يجبك لها نجيب أروع
26	مُتحلّب الكفين أميث بارعٌ	أنِفٌ طوال الساعدين سَمَيْدع
27	سمح إذا ما الشّول حاردَ رِسلُها	واستروح المرق النساء الجوَّع
28	مِن بعد أسعد إذ فُجعت بيومه	والموتُ مما قد يريب ويفجع
29	فوددت لو قبلت بأسعد فدية	مما يَضنّ به المصاب الموجع
30	غادرته يوم الرِّصاف مجدَّلًا	خبرٌ لعمرك يوم ذلك أشنع